

رحلة

سمو الامير محمد علي باشا

في

جنوب افريقيا

سنة ١٣٤٢ هـ — سنة ١٩٢٤ م

بقلم احمد مختار

مطبعة الاعتماد

رحلة
سمو الامير محمد علي باشا
في
جنوب افريقيا

سنة ١٣٤٢ هـ - سنة ١٩٢٤ م

بقلم احمد مختار

مطبعة الاعمال

مقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي وجب حمده في السراء والضراء كما وجبت طاعته في الشدة والرخاء تعالى وحده عن نقد ناقد فيما ابتدع منزه لا اعتراض عليه فيما صنع خلق الاضداد لحكمة بالغة وسير الاكوان بقوة باهرة وسع ملكوته الغث والthin كما وسعت رحمته المارق والأمين تجلى جلال خلقه لاولى البصائر وشهد بحق تقديسه اولو الفهم والضائر فله المنة على ما أولانا من خير النعم واليه دوام الالتجاء من شر النقم فتسأله بقلب صادق ونضرع اليه بجنان ناطق حيث وعدنا من فضله بالاستجابة وكتب على نفسه الرحمة والاثابة نسأله أن يسد قلوبنا من رجس الحقد والبغضاء لتسود بيننا المحبة والصفاء ففى ظل السلام والامان ييزغ نور الحكمة والعرفان وتنشط الامم بالجد والاجتهاد وتزكو العقول فتفيض بمكنون العلوم وتجود القرائح بسحر الفنون هنالك تقرأ الاعين وتطيب الانفس برؤية عروس المدينة الحقة التي لا تبسم وتحيا الا تحت سماء الفضيلة والسلام وان حلت بأرض أصبح ترابها تبرا وطينها نضارا وان أشرقت فى أمة أمسى أهلها أبرارا فلتحقيق هذا الامل يعمل العاملون الذين يحبون وطنهم لا ينتفون منه أجرا ولا من الناس جزاء بل ابتغاء مرضاة الله وهم يخشونه ويخلصون اليه ويرجون المثوبة عند الله ففى خير وأبقى

(د)

قالهم اكتب لامتنا السعادة وأربأ بها عن ذل الشقاوة وثبت أقدامنا في
الجد والاجتهاد لنفع العباد اقتداء برسول الهدى ونبي الحكمة سيدنا محمد عليه
أفضل الصلاة والسلام وعلى جميع رسل الله المكرمين وأنبيائه الصادقين
وبعد فقد تسنى لي منذ الصغر الإقامة والتجوال في بعض البلدان الأجنبية
مما ضاعف ميلى الى رؤية الاقطار البعيدة والاطلاع على أحوال أهلها فقامت
ب رحلات كثيرة في أوروبا وآسيا وشمال أمريكا ونشرت عنها في حينه ما يجدى
ذكره من غريب تجدر معرفته ونافع ترجى فائدته رغبة منى في ضم هذا المجهود
الى المجهودات الصادقة التى تبذل فى سبيل ترقية بلادنا العزيزة باقتباس أنجح
الوسائل والاخذ بأسباب التقدم الحديث مع المقارنة الدقيقة بأحوال الأمم فى
العصور السالفة والنظر الى تطور الحياة العالمية باختلاف الظروف وتباين الافكار
والعادات فى مختلف الشعوب والأصقاع وعسى أن يكون فيما قصده من نشر
مذكرات سياحاتى فائدة لمحبي الاطلاع من أبناء وطنى الذين لا تسمح الظروف
لبعضهم بالاسفار البعيدة وبذلك تكون لديهم على الاقل صورة حقيقية لما
شاهدت ورواية صحيحة لا يشوبها غرض لغرض فيما نقلت والله يوفقنا لما فيه
الخير والنجاح

رحلتى فى جنوب افريقيا

بدأت رحلتى الى أقطار جنوب أفريقيا فى يوم الأحد الموافق ٦ ابريل سنة ١٩٢٤ ميلادية من ميناء بور سعيد حيث بعد ذهاب الخدم مع الامتعة السفرية قصدت الباخرة فى الساعة العاشرة والدقيقة خمسة واربعين صباحاً على لانش « زورق بمحرك » تابع لشركة القنال قدمه لى مسيو شاير وكان معى من المودعين صلاح الدين بك فيضى وباهر بك صدقى وأخذ باقى أصحابنا لانش آخر تابع لشركة كوك ولما صعدنا جميعاً الى ظهر الباخرة وجدناها مزدحمة بالسائحين والزائرين ، وطائفة من باعة بور سعيد جعلوا سطح الباخرة سوقاً للبيع وقد أدهشنى وجود كثير من الهنود الذين يدعون علم الغيب «فتح البخت» ، وعند الظهر تماماً ودعنا اخواننا الذين رافقونا من القاهرة الى بور سعيد ليرجعوا بقطار الساعة الثانية عشر ونصف ، وفى الساعة الواحدة بعد الظهر تماماً تحركت الباخرة وقد وجهنا الى العناية الالهية رجاء السلامة فى سفرنا الطويل .

ان باخرتنا هى من بواخر « يونيون كاسل » وتسمى « نورمان » وهى قديمة انشئت منذ ثلاثين سنة ، وغرف النوم بها ضيقة وجهازها من الطراز القديم وتبلغ حمولتها ٧٦٠٠ طن وهى سريعة السير خاصة بالسواح وأغلبهم من موظفى الحكومة الانجليزية بأواسط أفريقيا

وقد رأينا بقائمة « جدول » مطبوع بها أسماء المسافرين والموانى التى ينزلون فيها ان من ١٧٤ من مسافرى الدرجة الاولى ١١٣ ينزلون فى ممباسا . أغلب السواح انكليزيون ما عدانا وفرنساويان يظهر من لهجة أحدهما وملاحظه أنه من أهالى مرسيليا الذين يبالغون فى القول ويشيرون الضحك فى المجون والهزل . كان مع هؤلاء الموظفين نساؤهم ، وأولادهم الذين نراهم بكثرة على سطح الباخرة يلعبون ويصيحون فترفع منهم غاغة وضوضاء مقلقة ومن العجيب أن هؤلاء الصبية الظرفاء يصرخون ويتضاربون من أجل لعبة أو برتقالة يأخذها أحدهم من الآخر ولقد ذكرنى هذا المنظر بأن الغيرة الانسانية وتنازع بنى البشر يظهران فى الانسان من عهد الحداثة والصغر كما أن من الصفات الفطرية تشبث المألوف الشئ فى استرداد ما سلب منه وان الانسان ليا بى بكل شعوره وقوته أن يبيت على حق مهضوم أو أن يغلب على أمره .

الطعام فى الباخرة لا بأس به (ويدعى الى تناوله بنداء بوق كما هو الحال فى الجنديّة) ومع صغر الباخرة يوجد بها طقم موسيقى وترية تصدح بنغماتها أربع مرات فى اليوم .

كان سيرنا فى القنال بطيئاً بسرعة ما هو مقرر للسير فيه ولذلك لم نصل الى الاسماعيلية إلا فى الساعة السابعة مساء وخلافا لما كنا نتوقعه من حرارة الجو شعرنا برطوبة اضطررتنى الى ارتداء المعطف ، تقابلنا بعد الظهر أثناء سيرنا بالقنال بباخرة كبيرة تابعة لشركة P. N. O.

اسمها « Kaiser I. Hind » ذات طبقات خمس وكانت قبل الحرب الدولية
الاخيرة تابعة للشركة الالمانية « N. D. L. » ، وفي الساعة السابعة ونصف
مساءً أمام الاسماعيلية نزل « Pilot » العامل الدليل في زورق وجاء آخر
بدلاً منه ليوصلنا الى السويس وفي الساعة السادسة من صباح اليوم
التالى وصلنا ميناء السويس حيث غادرناها فى الساعة السابعة صباحاً
فابتدأنا نلج البحر الاحمر وليس به شىء من اللون الاحمر بل بالعكس
كان البحر والسماء زرقاوين والآن نمر فى خليج السويس بين شاطئين
من الجبال العارية من الاشجار والنبات وهى أشبه شىء بجبال شواطئ
الأناضول وبلاد اليونان فى فصل الصيف وليست هى سلسلة متواصلة
الارتفاع على طول امتدادها لكنها متقطعة وفى هذا اليوم كان البحر
مرحباً بجباله والهواء منعشاً بخفيف نسيمه وقد مرت بنا عدة مراكب
محملة بالبضائع ومضى هذا اليوم ومن على الباخرة من كبار وصغار
يلعبون الالعاب البدنية والرياضية وقبل الغروب بساعة غاب عن نظرنا
الشاطئ الشرقى وصرنا على مقربة من الشاطئ الغربى للبحر الأحمر وهو
شاطئ مصر وكنا نرى فى الليل الفئارات المتعددة التى لها أكبر فضل
على الملاحة مما يوجب الثناء على الحكومة المصرية .

فى اليوم الثامن من الشهر عند قيامى من النوم صباحاً وجدت
الجو حاراً رطباً ينبىء بحر هذا اليوم فأمرت خادى أن يعد لى أخف
الملبوسات ولكن عند صعودى على سطح الباخرة وجدت هواء معتدلاً
ونسيماً عليلًا دام طول اليوم من جهة الشمال الغربى وفى الساعة

الحادية عشر صباحاً مررنا بمنار في وسط البحر على نقطة ليست عميقة يدعوني جمال منظرها لذكر وصفها وهذه البقعة تبلغ مساحتها نحو المائة فدان تقريباً واقعة في وسط البحر وكان لونه شديد الزرقة، كلما تعدوا الامواج على جوانب تلك البقعة تتكسر وترسم خطاً أيضاً من زبد الامواج حول تلك البقعة ذات اللون الاخضر الفاتح وهي من بعد كأنها أرض تكسوها الخضرة الجميلة. وبعد ذلك كنا في وسط البحر لا نرى شيئاً من الشواطئ وفي المساء بعد طعام العشاء كان الركاب يرقصون على ظهر الباخرة عادتهم كل ليلة، وفي هذه الليلة صرح ربان الباخرة للمسافرين بالنوم على سطحها في العراء لمن يرغب ذلك لشدة الحر ولقلة الهواء في غرف النوم بالطابق الأدنى فخصص الجانب الأيمن من سطحها للرجال والجانب الأيسر للسيدات. في صبيحة اليوم التاسع من شهر ابريل كان الجو صفواً جميلاً وفي الساعة الحادية عشر مررنا بمنار وسط البحر يشبه ذلك الذي مررنا به وفي الساعة الثانية بعد الظهر دخلنا ميناء بورسودان التي يدل بناؤها ونظافتها وتوقيتها على أنها أنشئت حديثاً ولمالم يكن لنا باخرتنا محل بجانب الرصيف لكثرة المراكب والبواخر الاخرى القينا المراسي في وسط الميناء، وضمن هذه السفن اثنتان تحملان فحماً من بلاد النताल بجنوب أفريقيا وكان أمامنا على الشاطئ بناء كبير عليه علمان أحدهما مصرى والآخر انجليزى وقد فهمنا أنه دار المحافظة ولو أن العلم المصرى لم يكن ذلك العلم الجديد الاخضر اللون بل لا يزال هو العلم الاحمر القديم

الا أن ذلك كان داعياً لسرورى اذ يرى الانسان أن العلم المصرى لا يزال يحقق فى السودان جملة الله دائماً قائماً . بجوار هذه المباني فندق وبناء آخر أعد للتغراف الانكيزى وعلى مقربة منه تغراف لاسكى تابع لحكومة السودان وعدة دور أخرى للشركات والمصارف المالية والصحة والكورنتينات . تجمعت حول الباخرة جملة زوارق نظيفة بحارتها من السود ووقفوا بزوارقهم على مسافة قصيرة من الباخرة وبشكل منتظم دون صياح أو تراحم لنقل الركاب — خلاف الحالة فى الموانى الأخرى — فكانوا ينتظرون الطلب بالامر وبعد الاجراءات الصحية المعتادة ومجىء البوليس الى الباخرة تصرح بالتزول لمن يرغب وقد نزل بهذه المرفأ احد عشر مسافراً ضمنهم ثلاث سيدات من المبشرات وفرنساويان يقصدون بلاد الكنجو الى ما بعد خط الاستواء والباقيون موظفون بحكومة السودان ، وبعد أن غادرنا هؤلاء ذهب بعض السواح لاستطلاع البلدة وللتنزه وقد شاهدنا بالميناء عدة زوارق « بالموتور » وأخرى شراعية للسباق وهى فى الغالب تابعة للموظفين الانكليز . — عند غروب الشمس جاء صاحب الفندق ودعا السائحين للرقص بعد العشاء فى فندقه .

فى صباح اليوم العاشر غادرت سفينة هولاندية الميناء نقلاً جزء من الرصيف رست به باخرتنا وجاء على سطحها رئيس عملة من السواحلية معه نحو ثلاثين رجل بعضهم زنوج وبعضهم سواحلية لتفريغ البضائع من عنابر الباخرة بواسطة الآلات الرافعة « ونش كهربائى كبير »

كالتى بأوروبا وكان هؤلاء الرجال أثناء عملهم يصيحون ويغنون ويرقصون
ولاحظت أنهم أقل بكثير فى القوة البدنية والنشاط من الفلاح أو
العامل المصرى من أهالى الوجه القبلى وهم كباقى الزوج يشبهون
الصبية والأولاد فى أخلاقهم وهذه النفسية تظهر فى عملهم اذ تجدهم
كلما افرغوا جزءاً صغيراً من البضاعة أظهروا فرحاً شديداً بغنائهم
وجلبتهم كأنهم قاموا بعمل عظيم وهكذا كان يضيع الوقت ونحن
ننتظر انتهاء تفريغهم لنخلص من حرارة تلك الجهة . يوجد على رصيف
الميناء كميات كبيرة من البضائع عدا الموجود بالمخازن الكبيرة والتى تبلغ
نحو عشرة ، وقطارات السكة الحديدية فى حركة ذهاب وإياب .
أفرغت باخرتنا كمية كبيرة من المواسير الحديدية والمسامير والآلات
المتنوعة الكثيرة وكان ظاهراً أنها مرسولة الى الاعمال الجارية
بمخزانات مكوار التى طالما سمعنا بها . جاء على الرصيف أمام سلم الباخرة
ثلاثة من الباعة ووضعوا أمامهم ما معهم من عقود سن الفيل للسيدات
ومصنوعات أخرى من سكاكين وسيوف من صنع السودان فاشترى
بعض السواح من هذه المصنوعات وكان يوجد أيضاً مع أحدهم غزال
صغير ومع آخر قطع مرجان وعلى الرصيف اناس مختلفو الأجناس من
انكاز ومصريين وعرب وهنود وأحباش ويمايين وزنوج ولا تنس
الأروام أيضاً وكان على الرصيف جندي أسود من البوليس يفتش
الأهالى عند صعودهم ونزولهم من الباخرة وقد لاحظت أن الشياطين الذين
يحملون الاحمال الثقيلة هم من أهالى اليمن ومن الغريب أن أصواتهم

رفيعة تشبه صوت الأغاوات ويظهر أن الاهالى لا يحصلون على غذاء كاف لما يلوح عليهم من ضعف البنية . وصلت الى الميناء هذا اليوم سفينة من الشركة الحديدية مملوءة بالسواحلية والعبيد . قد ظهر لنا من بطء سير العمل أن الباخرة ستتأخر عن موعد سفرها الى منتصف الليل فنزلنا فى الساعة الرابعة ونصف بعد الظهر مع ربان الباخرة الذى جاء معه موظف تابع للشركة للفسحة بالرفاص ومشاهدة الميناء بدعوة منهما وقد مررنا بكثير من «السانبولك» أى المراكب الشراعية لنقل المتاجر بالبحر الأحمر وكانت مشحونة بالقطن الوافد من طوكر وأكثرها يحمل العلم الايطالى وقد أخبرنى موظف الشركة أن بالميناء ممعلا لعمل الاقمشة القطنية تابعا لحكومة السودان وقد أرسل فى العام الماضى ألف طن من بذرة القطن الى مدينة هل بإنجلترا لاستخراج الزيت ومن ذلك يعلم مقدار العمل وأهميته . رأينا بجهة من الميناء جزءا عالما أنه جىء بغواص من إنجلترا ليختبر عمق مياهه بجوار الساحل لمعرفة ما اذا كان عمقه يساعد على عمل رصيف لمرسى البواخر . ان ميناء بورسودان واسعة ومعدة لتسع عددا من السفن الحربية ويبلغ عمق المياه تسعين قدما أى ثلاثين متراً وهذا يكفى لأى سفينة حربية الرسو فيها والدليل على ذلك أن هناك فحم كرفيف الخاص للمراكب الحربية وهذا عدا فحم الناتال الذى تكلمنا عنه وهولوا بورات السكك الحديدية والبواخر العادية . وصلنا فى فسحتنا داخل الميناء الى كوبرى السكة الحديدية الذى يرفع من ناحية واحدة على شاكلة

كوبرى بولاق ومن هناك عدنا الى الرصيف لنمشى قليلا لرؤية البلدة
 قررنا بمنزل الطبيب وبنك الانجلو اجيبسيان ودار المحجر الصحى وقد
 لاحظنا أن الاشجار والخضرة قليلة جداً لأنهم يجلبون الطينة الصالحة
 للزراعة من مسافات بعيدة وتشجيعاً لأيجاد الاشجار تعطى الحكومة
 مياها لريها دون مقابل وهذه المياه مستجلبة من مياه البحر بواسطة
 « الكندانسا » ولما بللنا العرق من شدة الحرارة ورطوبة الجو فضلنا
 العودة بالرفاص عن المسير والفسحة قررنا بكثير من الزوارق عليها
 عدد من ركاب باخرتنا يلهون بصيد الاسماك الكثيرة فى هذه المياه
 وعند الغروب سكن الهواء وصعب التنفس حتى أننا لم نتمتع بالنوم تماماً
 فى هذه الليلة وفى الساعة الثالثة صباحاً سمعنا أول صفير من الباخرة
 يشعر بقيامها وقد غادرت الميناء فى الساعة الرابعة صباحاً أى متأخرة
 بأربع وعشرين ساعة عن موعد السفر بسبب بطء عمال الميناء وقد
 احتج القبطان على ذلك لأن الباخرة ليست باخرة لنقل البضائع وإنما هى
 خصيصة للمسافرين وللبريد ولها مواعيد معلومة فى الموانى التى تمر
 بها وليس لها أن ترتبط فى مواعيدها بسبب الشحن والتفريغ .

فى يوم ١١ ابريل كان يصعب التنفس داخل غرف الباخرة ولكن
 على ظهرها كان يقابلنا الهواء المنعش وذلك من سرعة السير ولم نر شيئاً
 طول يومنا بالبحر غير نوع الدرفيل الذى كان تارة يظهر وأخرى يغوص
 بجوارنا ، ولم يكن فى الباخرة رقص كعادتهم وإنما استعاضوه بحفلة
 كونسرت فى صالة الطعام فذهب أغلبهم لسماعه وذهبت للنوم فى

الساعة التاسعة مساء وكان الحر شديداً جداً ولم استطع النوم حتى الساعة الواحدة بعد نصف الليل نخلعت ملابسي وأدرت مروحة الهواء غير مبال بما تسببه المروحة في هذه الغرفة الصغيرة من ألم في الرأس وفي يوم ١٢ ابريل عدلنا مواقيت الساعات وفق ساعة عدن وهي متقدمة ساعة زمنية عن الساعة بمصر وفي هذا اليوم مرت بنا كثير من البواخر لقربنا من مضيق باب المندب وفي الساعة الحادية عشر صباحاً مررنا بجزيرتين وفي الساعة الثانية بعد الظهر كنا أمام جملة جزائر صغيرة وكبيرة غير مسكونة وليس بها شيء سوى الفنارات وتسمى « Twelve Apostles » وقبل الغروب تقابلنا بأربع بوادر متجهة الى الشمال وفي الساعة السابعة مساء مررنا بين جزيرتين ثم بدأت الريح تهب وتلطف الجو فقابلنا ذلك بسرور وانشراح لما صادفناه قبلا من شدة الحر المزهق . لا بد لي أن اذكر أيضاً أنه خلاف ما كان من لعب ورقص وتسلية بدنية ورياضية كل يوم كان يوجد بالسفينة قسيس انجليزى يعطى درسا يوميا في اللغة السواحلية والسودانية المنتشرة في غرب افريقيا وسواحلها فكان كثير من السيدات والرجال شيبا وشبابا يحضرون هذا الدرس وكل منهم يحمل كراسته للمذاكرة وبهذه الطريقة يستفيدون في مدة شهر السفر ما يلزمهم من اللغة ليتيسر لهم التفاهم بها على قدر الضرورة في هذه البلاد ولقد أعجبنى ذلك منهم لأنهم عمليون يعملون لمنفعتهم وآسف لعدم اهتمام الشرقيين بمثل هذه

الصفات وقد مررنا هذه الليلة بجزيرة بيريم . في نهار الاحد ١٣ ابريل استمر الهواء عليلاً وفي الساعة الثامنة صباحاً أقام القسيس صلاة الكاثوليك في الصالون وفي الساعة العاشرة ونصف دق الناقوس الكبير بالباخرة دق الكنائس فنزل السواح للصالون الكبير المعد للطعام وأقام قسيس آخر صلاة البروتستانت وبعد ذلك مر بجميع السائحين خادم يحمل صحناً لجمع نقود باسم الكنيسة .

قد أخرنا الهواء الشديد في سيرنا ساعتين عن ميعاد وصولنا الى عدن التي وصلناها الساعة الثانية عشر والدقيقة ٤٥ ولا تكسو هذه السواحل أى خضرة إنما ترى رمالا صفراء وصخوراً سوداء ومدخل الميناء صعب لعدم العمق الكافي فكانت تسير الباخرة ببطء وكما دار المحرك « الرفاص » اخرج الرمال من قاع البحر الى سطح الماء ، رسينا أمام ميناء عدن والبلدة مقامة على صخور سوداء ووراءها ثلاث قمم جبلية بركانية قديمة ويبلغ سكان مدينة عدن نحو أربع واربعين الف نسمة ومساحتها ٨٣ ميل مربع وبها خط سكة حديدية صغيرة توصل لبلدة اسمها لحج على مسافة ٢٥ ميل والى بلدة أخرى تسمى هاييل على مسافة ٣٠ ميل وهذه البلاد بما فيها عدن وجزيرة بيريم تابعة فى ادارتها لحكومة بمباى وعدن هى النقطة المستحكمة الوحيدة بين مصر والهند ونقطة اتصال بالهند ويتبين للرأى من الباخرة انها نظيفة وان الحكومة الانجليزية صرفت كثيراً من المال لتقيم فى بقعة جبلية صخرية ميناء مهمة كعدن بها كل ما يلزم للموانى المصرية وبعدن جملة

مصارف وفندق كبير وبيت المحافظ الانكليزي وتلغراف لاسلكي
 وثكنات عسكرية واستحكام وخزانات للمياه المستحضرة من البحر
 بواسطة الكندانسات خلاف الخزانات الموجودة بالجبال لحجز مياه
 الامطار لأهالي المدينة ويوجد فنارات عديدة بالجزيرة التي أمامها .
 الحالة الصحية جيدة خالية من الحميات اذا استثنينا ما يحصل أحيانا
 من شدة الحر . ليس بعدن رصيف لمرسى البواخر بل تبقى راسية
 بالقائها « الهلب » وقد القيناه الساعة الواحدة بعد الظهر تماماً بجوار
 سبع سفن كانت موجودة وبعد اجراء الرسميات المعتادة جاءت عدة
 زوارق الأهالي عليها بضائع يسيرها عبيد من السواحية ومما يدعو
 للتسلية أنهم كانوا يبيعون ما عندهم من الاشياء الخفيفة بواسطة رمي
 طرف من الحبل إلى الأعلى للسواح على ظهر الباخرة والطرف الآخر
 يمسكه البائع في زورقه وبوسط الحبل زمبيل مربوط توضع فيه الحاجة
 فيأخذها السائح بعد أن يجذب الحبل اليه ثم يضع بالسلة ثمن ما اشترى
 ويلقيه للبائع . نزل بعض السواح للفسحة بالبلدة ، وكان العبيد يبيعون
 أنواع السجائر والدخان ومقاطف بغطاء مصنوعة من القش الملون
 كصناعة السودان وبعض الباعة يهود يلبسون الطربوش وهم يبيعون
 ريش النعام وعقود الكهرمان المصنوعة بأوربا ، وبعض الأقمشة الحريرية
 الهندية يبيعها الهنود ومن الاشياء المشهورة بها عدن قرون الحيوانات
 وأنياب الاسماك ومن الاشياء المسلية وجود أولاد صغار من العبيد
 والسواحية نحيفي الاجسام يلقون بأنفسهم في الماء من الباخرة فيغوصون

ثم يظهرون على سطح الماء وييدهم قطع النقود التي كانت تلقى لهم في البحر من السائحين وكنت أظن قبل رؤية هؤلاء أن أولاد نابولي بايطاليا هم الذين فاقوا بمهارتهم في هذه اللعبة ولكن وجدت من هؤلاء ما يفوق الآخرين . اقتربت من الباخرة معونة مملوءة بحقائب البريد الى غرب أفريقيا وجنوبها ومعونة أخرى فارغة لتفريغ البضاعة من الباخرة وقد قام بهذا العمل جماعة من اهل اليمن عليهم رئيس منهم وكان المقرر أن نمكث ثلاث ساعات ولكن تأخرنا لمجيء شحنة كبيرة من الملح الى ممباسا وبما أن أجرة نقلها تقرب من مائة جنيه فضل القبطان أن يحملها على الباخرة وهذا الملح موجود بضواحي عدن بكثرة ووفرة ومعدوم في جنوب وغرب أفريقيا والهند ولذا يصدر بكميات عظيمة من عدن الى تلك الجهات والتاجر الكبير المشتغل بذلك يعرف بالملا حاج عبد الله .

بعد الغذاء اذن للباعة بالصعود الى الباخرة لبيع ما عندهم للمسافرين . لا يوجد بعدن حمامات بحر وذلك لوجود وحوش كالخوت بياهاها ومما يبعث للتسلية محاربة الطيور للأسماك على سطح الماء وذلك ان فوجاً من السمك يظهر عند ما يرى قليلاً من الطير يسبح على سطح الماء ويأخذ عندئذ في الوثب والقفز فتصيح الطيور ويلحق بها عدد عظيم من جنسها لمطاردة السمك الذي يغوص ويظهر ثانياً وهكذا يستمر ذلك النضال أو المداعبة بين سرب من الطيور والأسماك . أُنذرت الباخرة بصفيها مغادرة الميناء في الساعة السادسة مساء

فأبحرت بنا الى جنوب أفريقيا والمسافة من بور سعيد الى عدن هي
ثلاث الطريق وكانت الحالة بحمد الله على ما يرام ولكن بمناسبة شدة
الهواء الذى ابتدأ بعد عدن أشاع بعضهم أن الرياح البحرية المسماة
بالموسون ابتدأت قبل شهر من أوانها فأزعجنا ذلك الخبر لما هو معلوم
من خطر تلك الرياح والعواصف وما تنذر به من هول وشدة فسالنا
القبطان عن ذلك لنتبين حقيقة الخبر ولكنه طمأن قلوبنا بتأكيده
لنا أن لا صحة لذلك فقضينا ليلتنا متمتعين بنوم هادئ .

(يوم ١٤ ابريل) وكان الاثنين من أيام الاسبوع ، طلع علينا
صبحه بحو لطيف وبحر هادئ وفي الساعة الثانية بعد الظهر رأينا جزءاً
من ساحل الصومال الايطالى وتقابلنا بسفينة تجارية ويقال أننا سنمر
في منتصف الليل برأس غاردفوى وهى القطعة البارزة من ساحل أفريقيا
الى الجهة الشرقية فى المحيط الهندى ويوم ١٥ ابريل لم يقل عن سابقه
حسناً جواً وبحراً ومضى النهار والمسافرون يتبارون فى العاب
خصصت لها جوائز ورأينا فى الليل سفينة أخرى . يوم ١٦ ابريل لم
يختلف عن يوم ١٥ فى حالة الجو والبحر ولكننا بعدنا عن الشاطئ ولم
نعد نر منه شيئاً وفى المساء أقيمت حفلة « بالو » للرقص بملابس غريبة
« Fancy dress » واستمر ذلك الى منتصف الليل « يوم ١٧ ابريل » لا يختلف
الجو عن اليوم السالف كما أننا لم نر شيئاً من الشاطئ وبعد الظهر مرت
الاطفال على سطح الباخرة بملابس هزلية مضحكة وفى الساعة السادسة
ونصف مساء ظهر الالب « نبتن » ذو الاحية البيضاء الطويلة كما اقتضت

العادة ظهوره عند الوصول الى خط الاستواء وهو يمثل إله البحار في زيه التقليدي ويحمل تاجه وصولجانه ومر بالصغار يداعبهم ويلاعبهم، وبعد طعام العشاء في الساعة الثامنة ونصف وزعت الجوائز على الرجال والسيدات الذين برعوا في تفنن الملابس في الليلة الماضية وعلى الفائزين في الالعاب الرياضية ومسابقتها وبعد ذلك صدحت « كونسرت » من ثلاثة رجال وثلاث سيدات بالالحن الشجية .

(يوم ١٨ ابريل) لم يستجد شيء في حالة الجو والبحر خلا ما تساقط من الرذاذ القليل وبما أن اليوم هو آخر يوم للوصول الى ممباسا التي سيفارقنا فيها كثير من السواح تجدهم في حركة لاعداد امتعتهم السفرية، وصلت الباخرة في الساعة الثالثة صباحا قبال مدخل ممباسا ووقفت للساعة السادسة والنصف حتى تهدأ حركة المد والجزر لتتمكن من ولوج الميناء ونزل اثناء ذلك مطر غزير رطب الجو ثم دخلت الباخرة الشواطئ في هذه الجهة تختلف كثيراً عن كل الشواطئ التي مررنا بها اذ الارض كلها مغطاة بالخضرة والاشجار الكثيرة التي أغلبها من شجر جوز الهند رمز بلاد خط الاستواء، وممباسا واقعة على ٤ درجات من خط الاستواء جنوبا وعلى ٣٩ درجة من خط الطول شرقا وهي الميناء لمستعمرات كينيا واوغندا التابعة لانيجلترا قائمة على جزيرة طولها ثلاثة اميال وعرضها ميلان وبها ٧٠٠ من البيض الأوروبيين و ٣٦٠٠٠ من اهالي وشرقيين وهي على بعد ٣٠٦٦ ميل من بورسعيد صرف نحو مليون جنيه في عمل رصيف مينائها المهمة المسماة كلندني .

عند وقوف الباخرة وبعد الاجراءات المعتادة نزل السواح القاصدون المستعمرات الداخلية ويبلغ عددهم نحو مائة وعشرة بين رجال وسيدات . بالميناء محطة السكة الحديدية والجمارك ومخازنها وتستجلب المياه الى المدينة من مسافة بعيدة من جبال نائية . نزلنا من الباخرة نحو الساعة التاسعة والدقيقة خمسة واربعين ومررنا من وسط الجمرك وأخذنا سيارة فورد اتفقنا مع سائقها على ساعة زمن لرؤية البلد وما فيها . وجدنا الطرق فسيحة ومرصوفة بالمسكدام ونظام السير من اليسار كما هو في لندن . كان الطريق الموصل الى المدينة جميلا لوجود الاشجار المختلفة على جانبيه ومما أدهشنا ضخامة أشجار المنجى وشجر البواباب وهو كثير ببلاد السودان ، كل المنازل محاطة بالبساتين وقد اشترينا في طريقنا مناظر كارت بوستال لارسالها لاخواتنا بمصر ثم مررنا بالحى الموجود به القلات الصغيرة ومررنا بالطريق الممتد على ساحل البحر . يوجد بممباسا محكمة انجليزية ومحكمة شرعية اسلامية تحت سلطة الوالى المعين من قبل سلطان زنجبار الذى احتفظ في معاهدة بينه وبين انجلترا بسلطته فى منطقة الشاطىء على اتساع عشرة أميال فى الداخل . يوجد بالبحر كثير من المرجان واغلب المباني مبنية بالحجر الداخلى فيه المرجان وذلك بعد حرقه وجعله ترابا ثم قوالبها كالحجر المعروف فى مصر بالثلثات ، وممباسا هى رأس السكة الحديدية الموصلة الى الاقطار الداخلية . بعد الظهر فى الساعة الرابعة ونصف ركبنا زورقا الى الساحل واخذنا سيارة لمشاهدة ما يستحق الرؤية وكان بعد ظهر يوم سبت

فوجدنا الحوانيت الافرنجية مغلقة كما هي العادة بانجلترا فطلبنا من السائق أن يطوف بنا الاحياء الاهلية فمررنا أولاً في شارع نظيف منتظم يسكنه تجار الهنود وخصوصاً الاغنياء منهم واكثرهم يحترفون الصياغة وبعضهم يبيعون الحرائر والأقمشة، وقد لاحظنا أن كثيراً من المنازل القديمة لها أبواب من الخشب مزينة بمسامير كبيرة من الحديد والنحاس وقدما كانت صناعة الأبواب هذه معروفة ببلاد العرب وانتقلت الى بلاد الأندلس وقنيسيا وغيرها من البلاد التي دخلها العرب ومن هناك مررنا بشارع آخر اغلب تجاره من السواحلية وبضاعتهم عبارة عن عطارة ومناديل ملونة كبيرة واقمشة ذات ألوان ظاهرة وقد رأينا مسجدين في طريقنا وبآخر البلدة توجد مساكن العبيد الذين هم أهالي تلك الجهة الأصليون ثم خرجنا الى خارج البلدة من طريق فسيح به أشجار كبيرة وارفة الظل حتى تعمس علينا أخذ مناظر بالفوتوغرافية وبعد أن سرنا مسافة طويلة وصلنا الى فندق على شاطئ البحر حيث ابتداء الطريق المرصوف بالمكدام وقد يخيل للإنسان أنه يسير وسط حدائق أوروبا الكبيرة الجميلة الى أن وصلنا أمام سوق الخضار والفواكه التي يوجد أغلبها بمصر وليس منها ما يستحق الذكر وقد مررنا بمنزل رجل سواحلي غني مكتوب على بابه آيات قرآنية ووجدنا الشارع الكبير مزدحماً بأناس من مختلف الاجناس والباعة على جانب الطريق بمروضاتهم الزهيدة

استلفت نظرنا في طريقنا زنجي مقبوض عليه يسوقه جنديان

مسلحات وهو يحمل متاعه على رأسه ولعل ذلك لعدم دفعه القيمة المعلومة المفروضة على كل انسان من الاهالى يؤديها سنويا وذلك لان الاهالى يقنعون بالقليل من نبات الارض ويكتفون بما تجود عليهم به الطبيعة من مختلف النبات والحيوان فلا يشتغلون ولا يكفون انفسهم عناء العمل ولذا وضعت الحكومة هذا القانون لتجبر الاهالى على الكد والعمل فجعلت على كل عبد أو زنجى أن يؤدى للحكومة ثمان شلنات سنويا كضريبة شخصية وعلى كل عربى أو سواحلى قيمة جنية

مضى الليل وقد امطرت السماء قليلا وفى يوم ٢٠ ابريل كان الصباح أدفأ بقليل من الامس وحيث أن تفريغ البضاعة يسير ببطء عدل الربان ميعاد السفر فبدل ان كان الساعة الخامسة بعد الظهر جعله صباح اليوم التالى وضمن ما شاهدناه من البضاعة التى كانت تفرغ من الباخرة نحو ٥٣٠ صندوقا تحوى تقودا مرسلة الى حكومة كينيا وفى الساعة الرابعة والنصف مساء دعانا القبطان لعمل فسحه بموتوربوت لرؤية ما حول الميناء وحول جزيرة ممباسا فررنا أولا بجانب الرصيف الذى يعدونه لمرسى البواخر وقد فتحت الحكومة اعتمادا لذلك بمبلغ مليون ونصف من الجنيهات ثم مررنا بجهاز كبير من الحديد يشبه الكبارى لنقل الصودا من المعمل الى المراكب وهذا تابع لشركة الصودا هناك ثم مررنا تحت كبرى السكة الحديدية الموصلة بين الجزيرة وأرض القارة الافريقية فشاهدنا مناظر جميلة فوق التلول والاراضى التى تكسوها الغابات الخضراء وشاهدنا كثيرا من البيوت التابعة للاوروبيين

يحوطها كثير من اشجار جوز الهند ثم مررنا بلوكاندة تودور ووصلنا ميناء ممباسا ورأينا منظر البلدة من البحر وما بها من منازل متوسطة ضمنها بناء كبير عليه مسحة من الجبال علمنا أنه أقيم بواسطة أحد اغنياء الهنود لجعله مدرسة ولكنه أهمل اليوم فهو غير مستفاد به، وعلى الاستحكام القديم علم احمر هو علم ملك الزنجبار وكان بالميناء ثلاثة مراكب تجارية صغيرة لنقل المتاجرين الشواطىء وهى تابعة لاحد الهنود وقليل من السنبوك ولما وجدنا البحر شديدا وأن الموتور ضعف عن مقاومة الامواج عدلنا عن اتمام الطواف حول الجزيرة ورسينا على مرسى للجمر لك لناخذ من هناك سيارة الى ميناء كلندنى الموجودة بها باخرتنا فررنا من شارع فى آخره النادى الانجليزى ودعانا القبطان لدخوله فما كان أعظم سرورى برؤية الحديقة الصغيرة التابعة للكلوب لما فيها من عشرة أجناس من شجر الكروتون الذى كان جميلا فى لونه غريبا فى حجمه اذ كان منه ما يقارب حجم شجر النارج الكبير ولا عجب فى اهتمامى بذلك فأتى من المولعين بالنباتات وكنت أظن أن ما رأيته بالاسكندرية من أشجار هذا النوع هو أجود ما يكون ولكن فى الحقيقة لانسبة ولا تشابه بين هذا الذى رأيته فى ممباسا وبين الذى رأيته بالاسكندرية ثم غادرنا الكلوب وانا معجب بما تتجسم فيه قدرة الخالق عز وجل ثم عدنا بالسيارة الى الميناء ومنها الى الباخرة، وقد حضر اثناء ذلك أربعون سائحا وكان ينتظر وصول ثلاثين غيرهم

يوم ٢١ ابريل قمت فى الصباح مبكراً لأرى خروج الباخرة من

الميناء وكذلك المناظر التي بالشاطئ ولكن تأسفت جداً لما علمت بتأجيل سفر الباخرة الى الساعة الرابعة بعد الظهر . قامت الباخرة في الساعة الخامسة بعد الظهر وعند خروجنا من الميناء كان البحر خفيفاً والهواء شديداً وخفنا أن نزداد الحالة في الليل اذ لا يمكننا الدخول الى ميناء طنجة الا في الصباح لان قله عمق المياه في مينائها لا يسمح للباخرة بسهولة المرور لوجود مرتفعات من الرمال تحت سطح الماء . يوم ٢٢ صباحاً في الساعة السادسة رأينا الشاطئ وفي الساعة السابعة كنا بين جزائر وفي منتصف الساعة الثامنة حيث كنا أمام ميناء طنجة القينا « الهلب » ان طنجة ميناء ولاية تنجانيكا تشبه الموانى الاوروبية الشمالية فنازلها على النسق الافرنكى وهي واقعة جنوب خط الاستواء بخمس درجات وعلى بعد ٧٣ ميل من زنجبار ويبلغ سكانها أحد عشر الفا من الالهالى ومائتان من الأوربيين وهي واقعة على مصب نهر سيجى . انشئت هذه البلدة بيد الالمان كذا ما بها من مستشفى كبير وحديقة عمومية للنزهة وشارع كبير على النسق الأوروبي وقد هاجمها الانجليز سنة ١٩١٤ في شهر نوفمبر ولم تؤخذ تماماً الا في سنة ١٩١٧ ومن ذلك العهد صارت تحت حمايه انجلترا . تمتد من طنجة الى الداخل سكة حديدية الى مسافة ٢٢٠ ميل لبلدة تسمى موشى الواقعة باسفل الجبل المسمى كليمانجارو اعلا جبال افريقيا حيث يبلغ ارتفاعه ١٩٣٠٠ قدم في الاراضى المستوية من تلك الجهات يزرع السمسم ويستخرج الكاوتشوك والصمغ وفي الاراضى المرتفعة يزرع شجر القهوة . تخلف

الى تلك البلدة ثمانية من الركاب وحضر الى الباخرة للسفر ستة من السواح بينهم انجائزى يشتغل بالسينما لأخذ مناظر البلاد المتوحشة ومناظر صيد الحيوانات الوحشية وقد تعرفت بمكاتب حربي انجائزى للجرائد كان مرافقاً لنا من ممباسا وقد اشتغل مدة الحرب وبعدها بمراسلة الجرائد عن حالة البلاد الاسلامية والشرقية وقد جال بلاد العجم وبغداد والاستانة

غادرنا طنجة في الساعة الحادية عشر صباحاً الى زنجبار والسماء تمطر والبحر ثائر وبعد ما سرنا قليلاً مر علينا سحب مظلم كثيف وصار يهطل بشدة كما هي الحالة في جهات خط الاستواء ثم انتهى بعد نصف ساعة وفي الساعة الثالثة بعد الظهر كنا تجاه شمال جزيرة زنجبار نسير على مقربة من الشواطئ الخضراء فررنا بجزيرتين وشاهدنا قصرًا له برج علمنا انه مصيف سلطان زنجبار بقرب قرية تسمى بوبوبو متصلة بالعاصمة بسكة حديدية صنيقة ويبلغ طول هذا الخط الوحيد بالجزيرة ثمانية اميال وهو تابع لشركة امريكية وفي الساعة الخامسة والنصف مساء دخلنا ميناء زنجبار والفينا « الهلب » ، وهذه الجزيرة الصغيرة واقعة في جنوب خط الاستواء بسبع درجات وتبلغ مساحتها ٦٤٠ ميلاً مربعاً ويتبعها جزيرة في شمالها تسمى بمبه مساحتها ٣٨٠ ميلاً مربعاً ويبلغ تعداد سكان الجزيرتين مائتان وعشرة آلاف نسمة وعليها سلطان تحت حماية انجلترا

ان غروب الشمس في تلك الجهة لما يسحر الانظار وذلك أن

الشمس بميلها تعكس ضوءا جميلا على شرق الجزيرة وكأنها بستان واحد اقامته الطبيعة فيرى الناظر الاشعة الذهبية تملو اللون الاخضر الجميل مما يسر العين ويعجز اللسان عن وصف جمال الطبيعة الزاهية ، صنع القدرة المتجلية .

نشاهد امامنا بالجزيرة سراى السلطان والجمر ك ودار المحافظة ومباني أخرى كثيرة ولما كان وصولنا قبل الغروب امكن انجاز الاجراءات القانونية العادية عند وصول البواخر وبذلك غادر الباخرة كثير من الهنود والزنوج وقليل من السواح . يوم ٢٣ ابريل كان الجو حارا فى الصباح وقد اعد لنا القبطان زورقا ليوصلنا الى الشاطئ واستحضر لنا عند نزولنا سيارة وترجمانا وقد تركنا الباخرة وازدحم عليها كثير من الباعة الهنود بمتاجرهم الهندية . مررنا بالسيارة من شوارع البلدة وهى طرق ضيقة الا انها كانت نظيفة فمررنا امام البوستان ودار المحكمة وحديقة النزهة والمقابر القديمة من عهد العرب وكنا قاصدين كفر بوبو فمررنا بجملة كفور ومساكن للزنوج فى وسط اشجار عالية من جوز الهند والمنجى وقد لاحظنا أن المساكن والبوليس ومعظم الاهالى كانوا يلقون اشارة السلام محيين من كان راكبا سيارة من الجانب ورأينا نساء الزنوج يحملن اولادهن بوثاق الى ظهورهن ، وللاهل عربات صغيرة للنقل تجرها ثيران لها اكتاف مسنمة ولكنها نحيفة الجسم صغيرة الحجم . الطرق خارج البلدة واسعة ومرصوفة بالمكدام تضاهى احسن طرق اوروبا ، على جوانبها الرياض والبساتين

وكأنها كلها حديقة غناء ، ومما استلفت نظري أن الدجاج والديوك كبيرة الحجم مثل التي يربئها بعضهم في مصر المضاربة وقد سرنا الى أن وصلنا مزرعة شجر القرنفل ثم عدنا الى البلدة من طريق وسط سوق للاهالى اغلب تجاره من الهنود ثم مررنا بسوق الخضار والفواكه حيث استوقفت السيارة لرؤية موز كبير ادهشنى يزيد طول الواحدة عن ثلاثين سنتى مترفاشترت ثلاثة منها على عزم أن استحضر منه شتلا الى مصر اذا وجدته حلو الطعم ولكن وجدته عكس ذلك وعلمت أنه يطبخ فيؤكل ثم دخلنا حديقة للزهة رأينا بها انواعا عديدة من النخيل ودخلنا دكاكين الهنود ولكن لم نجد بها أحسن مما رأيناه معهم على الباخرة ثم قصدنا رؤية الجامع الكبير الذى بناه الطيب الذكر اغا خان الهندى غفر الله له وهو وجد اغا خان الحالى ويذكر عن ذلك الرجل العظيم أنه أقام ذلك المسجد ومكتبة للهنود وناديا ليجتمعوا فيه ثم قصدنا الشاطئ لنعود الى الباخرة وبينما نحن فى سيرنا اذا استوقفنا رجل انكليزى ليكلمنا فى أمر فوقفنا واذا به السكرتير الخاص لسمو السلطان وقد أخبرنى بوجه بشوش أن سمو السلطان علم بوجودى فى بلاده ولما بيننا من سابق المعرفة يدعونى لمقابلته فأجبتة بقبول الدعوة على أن أحضر لمقابلة سموه الساعة الخامسة مساء . ثم انصرفنا الى الباخرة

زنجبار هى نقطة تقابل كل من لهم اشغال تجارية فى شرق افريقيا وبها أناس من كل الاجناس وأغاب تجارتها فى القرنفل وسن الفيل وجوز الهند

حضر في الساعة الرابعة والرابع مساء الى ظهر الباخرة المستر
بتسكوب السكرتير الخاص لسمو السلطان بخطاب من سموه لطيف
العبارة كريم المجاملة يذكر فيه معرفتنا السابقة ويدعوني برقة لتناول
العشاء بعد عمل نزهة وسط حدائق الجزيرة على سيارة سموه فاخذنا
الرفاص وانتقلنا الى الساحل امام القصر فوجدنا السيارة في انتظارنا
على الساحل ولكن لقرب المسافة فضلت المسير على القدم فدخلنا
القصر وقيدت اسمي في سجل اعد لذلك وصعدت سلماً رأيت في نهايته
سمو السلطان مع نجله في انتظارى مرتديا ثوبا عربياً جميلاً فسلم علينا
بشاشة واحترام ثم ادخلنا الى صالة كبيرة بها الكرسي السلطاني الكبير
ودونه من الامام سجادة كبيرة مشغولة بالقصب وبالعرفة مرآى
كبيرة مذهبة وتحف كثيرة وشبايكها واسعة عظيمة فبعد ان تبادلنا
التحية وتكلمنا برهة قصيرة دعاني للنزول معه للنزهة بالسيارة فوجدته
لطيف الحديث يتكلم العربية الفصحى وكنت لابساً طربوشى وكان
الناس يهمون لتحية سموه بكل احترام ويقال انه محبوب من رعيته
لما له من صفات الابوة نحوم وقد مررنا في طريقنا بعربات عليها هنود
فاستوقفوا عرباتهم وقاموا التآدية واجب التحية والتعظيم ثم وصلنا السراى
المعدة لمصطافه وهى تطل على منظر جميل من الميناء والبلدة، والصالة
الكبيرة مفروشة بأثاث هندي وبها عدة صور فوتوغرافية ورسومات
وبعد برهة وجيزة رجعنا الى البلدة وقد أُلح سموه بكرم في الدعوة لقبول
تناول العشاء معه في الساعة الثامنة والنصف وبعد ذلك ودعته لأترك بطاقة

الزيارة للحاكم الانكليزي كما تقضى به اللياقة لاسيما وانى زرت سمو
السلطان وكنت لابسا طربوشى فى تلك الزيارة وصرت معروفا
بصفة رسمية فوجدت للحاكم الانكليزي بيتا عظيما بحديقة كبيرة جميلة
على جانب من النظافة وحسن الترتيب ومن هناك عدنا الى الشاطئ
فرايت أن المسافة الى الباخرة بعيدة وان الزوارق المعدة للنقل ليست
على ما يرام ولما لم أعود التأخر فى الليل بل اعتدت الذهاب الى مضجعى
مبكرا ورأيت أن فى الذهاب لتناول طعام العشاء مع سموه فيه من التعب
ما فيه كلفت سكرتيرى الخاص احمد افندى مختار أن يذهب مع المستر
بتسكومب سكرتير سموه لتقديم تشكراتى واعتذارى مع الاسف
الشديد فى عدم امكاني الحضور ليلا راجيا اهدائي صورة سموه
الفوتوغرافية كتذكار، ثم عدت الى الباخرة بمفردى وفى الساعة السابعة
والنصف مساء عاد سكرتيرى ومعه صورة سموه الفوتوغرافية فبعثت
الى سموه خطاب شكر من الباخرة. واذكر بالمناسبة عادة فى زنجبار
وهي ان يطلق دائما فى الساعة الثامنة مساء طلقة مدفع مثل ايام رمضان
بمصر. فى يوم ٢٤ ابريل الساعة الثالثة صباحا ابجرت الباخرة من الميناء وفى
الساعة السابعة والنصف صباحا رسينا امام ميناء دارالسلام ولضيق بوغاز
الميناء وقلة عمقه الكافى قابل الباخرة رئيس البوغاز وصعد اليها ليقودها
الى المدخل وقد مرزنا بالبوأخر المخرقة فى الميناء وكان قد أغرقها الالمان
فى بداية الحرب لمنع دخول أساطيل أعدائهم ثم رسينا بالميناء وهي تشبه
من جميع الوجوه البلاد الافرنجية، بها كنيسة تان احدهما لابر وتسانت

والأخرى وللكاتوليك فبعد أن حصلنا على جواز للنزول من قومندان البوليس وبعد اتمام الاجراءات العادية نزلنا الى زورق ومررنا من الجمر كحسب العادة . تلك المدينة على مسافة ٤٨ ميل من زنجبار وكانت عاصمة مستعمرة ألمانيا بشرق افريقيا وهي الآن تابعة لانجلترا ، بها ٦٠٠ من الافرنج وأهلها ستة آلاف وبها ألف ومائتان من الجنود السود والذي بدأ انشاء هذه البلدة هو السلطان السيد نجيب سلطان زنجبار في سنة ١٨٦٢ ولما تركها في سنة ١٨٨٧ جاءها رجل ألماني يدعى كارلبنس وبعد وصوله بسنتين أرسلت الحكومة الألمانية قوة عسكرية واحتلت البلدة وأعلنت امتلاكها . توجد سكة حديدية توصل منها لغاية بحيرة تنجانيكا وطول الخط ٧٨٠ ميل ، وهذه البلدة تنقسم الى ثلاثة احياء قسم للافرنج وقسم للأهالي وقسم للجنود المعسكرة فالقسم الأفرنكي تخترقه طرق جميلة تحفها أشجار من الجانبين وبه منازل كبيرة وفلات جميلة صغيرة ويوجد بها أيضا فندق كبير ولعدم وجود سيارات أخذنا من الشاطئ عربتين ركشا كالموجودة ببلاد اليابان والصين وهي عربة خفيفة بعجلتين يجرها رجل وأحيانا يساعده آخر من الخلف وأخذنا معنا ترجمانا من الاهالي ومررنا من بستان الى منزل الحاكم ثم مررنا بالمستشفى الكبير كالموجود بطنجه وهذا مما كان يهتم به الألمان حيث أن أكبر المباني في هذين البلدين هي الاستشفيات ثم مررنا بالقسم الأهلي ومنازله عبارة عن أكواخ نظيفة تفصلها عن بعضها طرق واسعة منتظمة وكل هذا على حال تلائم الصحة ثم عدنا الى

الباخرة ولم نزل بعد الظهر . أبحرنا من الميناء في صباح اليوم الثاني الموافق ٢٥ ابريل الساعة السادسة والنصف صباحا وكان البحر هائجا شديد الأمواج والهواء عنيفا يواجهنا والمطر غزيراً بين آونة وأخرى وحر منا رؤية الشمس طول هذا اليوم . في يوم ٢٦ ابريل كان الجو بارداً والبحر مثله بالأمس وفي الساعة السابعة صباحا مررنا أمام رأس دلجادو حيث ابتداء حدود مستعمرة البرتغال وكنا نرى الساحل طول النهار ومررت في طريقنا باخرة واحدة وكان الجو معتدلاً ولكن هطل في الليل مطر غزير . في يوم ٢٧ ابريل صباحا كنا في بوغاز موزمبيق التي كانت عاصمة مستعمرات شرق افريقيا البرتغالية وهي على ١٥ درجة من جنوب خط الاستواء وهي ميناء مهمة بها فرعان للتغراف البحري أحدهما فرنساوى متصل بجزيرة مدغشقر والآخر انجليزى متصل بالجزائر الانجليزية وعدد أهلها ٤٥٠٠ نسمة ويوجد فيها ثلاثمائة أوروبى . الميناء واسعة جداً وهي منذ سنة ١٥٠٨ مركزاً للحاكم البرتغالى ورغمما عما فقدته البرتغاليون في حروبهم العديدة أمكنهم أن يحتفظوا بتلك الجهة وتلك الميناء وبقت تحت حكمهم وضمن مستعمراتهم . الميناء مقفولة من الخارج بجزيرتين والبلدة بها مباني قديمة جميلة والطرق مبلطة بالحجر وبها أبواب قديمة أثرية وشبابيك حديدية من بقايا القرن السادس عشر موجود عليها بدل الزجاج قبل استعماله شيء مصنوع من الطبخ يشبه الورق الشفاف ويسمى ميكاء، وبالبلدة اسبتالية كبيرة بسور ودار للمحافظة ومدرسة للجزويت ودير للرهبان ، وأهم

ما يستلفت النظر في تلك الميناء والقلعة القديمة وهى محاطة بسور يبلغ ارتفاعه ٣٥ قدما وقد شيدت فيما بين ١٥٠٨ و ١٥١١ ميلادية ، جلبوا لبنائها حجارة كبيرة من بلاد البرتغال على مراكب شراعية وتلك المسافة تبلغ ٨٠٠٠ ميل وفى هذا مفخرة عظيمة تظهر قوة عزم أمة البرتغال فى ذلك العصر عصر قوتها ومجدها . دخلنا الميناء فى الساعة السادسة والنصف صباحا وفى الساعة السابعة جاء موظفو الميناء والصحة لاجراء الرسميات المعتادة وقد أحاط بالباخرة زوارق زنوج يبيعون أنواع القواقع والعصافير والنسانيس والمراوج . تخلف فى تلك الميناء اثنان من السواح وجاء خمسة جدد

يوجد بمياه الميناء أسماك كثيرة كبيرة رأيناها تتسابق وتقفز من المياه لتلتقط قطع الخبز التى كانت تلقى وقد غادرنا موزنبيق الساعة العاشرة صباحا

عند خروجنا من الميناء كان قد هدأ البحر فحمدنا الله على ذلك وقد مر بنا سمبوق يحمل العلم الانجليزى ومن سيماء من به عرفنا أنهم من اليمن أو عدن . بعد الظهر اشتد الهواء وهطل المطر كالمعتاد وفى يوم ٢٧ كان البحر شديداً والجو بارداً ولا يوجد ما يبهى ذكره طول هذا اليوم سوى أنه قبل غروب الشمس رأينا مئات من الاسماك الكبيرة على سطح المياه . يوم ٢٨ كان البحر عالى الامواج والشمس ساطعة وبعد نصف الليل كثرت اهتزاز الباخرة لشدة الهواء والامواج وفى صباح يوم ٢٩ كان البحر هادئا والجو معتدلا نرى الشاطئ

الذى فارقناه بالامس ومررنا فى الساعة التاسعة صباحا برأس كورياتس وكذلك فى المساء كانت البحر هادئا وبما أننا كنا على مقربة من ميناء لورينسو ماركيس ولا يمكننا دخول الميناء الا فى النهار ، أمر القبطان بتقليل سرعة السير الى ثمانية أميال فى الساعة وفى صباح يوم ٣٠ ابريل الساعة الخامسة كانت الباخرة راسية فى الميناء تنتظر رئيس البوغاز وفى الساعة السابعة صباحا كنا ننتظر الاذن للمرسى على الرصيف وكان يوجد بالميناء ثلاث بواخر وأتى دور باخرتنا فرست على الرصيف فى الساعة التاسعة صباحا وفى الحال جاء (ضابط برتبة يوزباشى) وهو ياور لحاكم المنطقة أفهمنا أنه جاء من قبل الوالى لاستقبالنا وان سيارة الوالى تحت تصرفنا فررنا من الجمرک دون تفتيش أمتعتنا حيث كانت أعطيت الاوامر بذلك من قبل الحاكم العام البرتغالى وكانت قد حضر أيضا رئيس ادارة كوك بجوهانسبرج لملاقاةنا بأمر من المستر فرنك كوك وحضر كذلك مدير اللوكاندة لمباشرة نقل أمتعتنا وللترحيب بنا وكان ذلك كله من أوفر الاكرام فى سياحة غير رسمية بدأتها باسم مستعار ولكن لم يكن بد من قبول تلك المجاملات الكريمة لان الرفض غير ممكن ويعد مؤلما للمواطن

وفى الساعة التاسعة صباحا تركنا الباخرة نورمان بعد سياحة دامت أربعة وعشرين يوما كان فى خلالها القبطان وجميع موظفى الباخرة يعاملوننا بكل احترام مراعين راحتنا فودعناهم شاكرين وفى

طريقنا بالمدينة كان البوليس والملكيون يلقون اشارة السلام والتعظيم حيث كنا راكبين سيارة الوالى

الطرق واسعة ونظيفة مفروشة بالمكدام والاسفلت ، وبعد عشر دقائق من مغادرتنا الباخرة وصلنا الى لوكاندة عظيمة على ربوة جميلة وهى تضاهى اكبر لوكاندات أوروبا وبها جميع وسائل الراحة الحديثة قد شيدها أحد أغنياء الترنسفال لان مدينة لورينسو ماركيس ولو أنها برتغالية الا أنها تعد ميناء مهمة للترنسفال وفى الساعة الثانية والنصف بعد الظهر جاء الياور بالسيارة حيث ذهبنا لزيارة الوالى ولما وصلنا الى الباب الخارجى أدى فزه قول الحرس التحية العسكرية لنا ثم دخلنا وصعدنا الى الغرفة فقابلنا الوالى باحترام وبشاشة ولعدم المامه بلغة من اللغات الاجنبية التى تعلمها صار الياور واسطة التفاهم بيننا وقد قال لنا الوالى فى كرم ومجاملة شرقية بوداعة تشبه المجاملة الشرقية « أن اعتبروا أنفسكم فى بلادكم » وبعد قليل ودعنا وشكرناه على جميل ترحابه وكريم لقائه ثم عدنا الى اللوكاندة

لورينسو ماركيس صارت عاصمة لمنطقة الموزنيق منذ سنة ١٩٠٧ وهى واقعة على ٢٧ درجة جنوب خط الاستواء بها ستة آلاف من البيض بينهم سبعمائة انجليزى وثلاثة عشر الفا من الالهالى ويوجد بها أيضا كثير من الهنود المسلمين وبعض من الاروام . يبلغ طول رصيف الميناء لمرسى المراكب الف وخمسمائة مترا فيمكن لاثنتى عشرة باخرة أن تصطف جانب الرصيف وهى تعتبر من اكبر موانى افريقيا الجنوبية

وبحسب التقارير الرسمية دخل هذه الميناء في سنة ١٩٢٢ نحو ٥٢٢ سفينة يبلغ حمولة مجموعها ٢ مليون وستمائة ألف طن . مررنا بمحطة السكة الحديدية فوجدناها كبيرة ونظيفة ومررنا بالكازينو الذي وجدناه مغلقاً وهذا الكازينو كان مورد كسب كبير لتلك البلدة حيث كان يجلب اليه كثيرا من السواح للمقامرة ولما لم يكن هناك قانون يمنع اهل المدينة وموظفيها من المقامرة داخل الكازينو حصل أن خسر كثير من الاهالى والموظفين اموالهم وصار كثير منهم بحالة فقر سيئة فاضطرت الحكومة اخيراً الى غلقه

يوجد بالمدينة كنائس وجوامع ومساجد ومعبد صيني ويوجد بها ترامواى كهربائى وسيارات وأول أوردنى اكتشاف موقع هذه المدينة هو قبطان برتغالى يدعى انطونيو كامبو فى سنة ١٥٠٤ ميلادية والمجلس البلدى مجتهد فى تحسين حالة المدينة

نزلنا الى شاطئ البحر بالسيارة من طريق جميل تكسو جانبيه انواع الاشجار والنباتات ورأينا على الشاطئ كازينو به حمامات بحر على جانب من النظافة

المنازل اغلبها طابق واحد تحيط بها بساتين وقد مررنا بحديقة النباتات التى بها قليل من الحيوانات وابتدأوا بتحسين حالتها ثم دخلنا الى شوارع المدينة وبعض الدكاكين وقد دهشنا لوجود مصاحف للبيع فى تلك الدكاكين الافرنجية ثم مررنا أمام الشكنات العسكرية التى يوجد بها أورطة من حرس الجمهورية البرتغالية وبولوك من الخيالة الذين علمناه أنه

لم يبق في حيازتهم سوى سبعة خيول لان معظم الخيل ماتت من عدم تحملها الطقس ويوجد ايضا ثلاثة أورط من السود وبطارية متراليوز وبطارتين طوبجية ومما عجبنا له في جهات شرق افريقيا على العموم أن الاهالى يحبون لبس الطربوش الاحمر الذى كدنا أن نمل لبسه في بلادنا لعدم موافقته ولعدم فائدته سواء في الحر والشمس أو في البرد والمطر ثم مررنا أمام الاستبالية الكبرى على مرتفع موافق للصحة خارج المدينة وبها ٦٠٠ سرير ثم عدنا الى اللوكاندة حيث كانت الساعة الخامسة مساء فوجدنا خطابا رقيقا من ممثل حكومة جنوب افريقيا يستعلم فيه عن سفرنا وكان قد وصل خطاب باسم مختار افندى من مدير سكك حديد وموانى جنوب افريقيا يخبرنا فيه أنه أعطى أوامرا لمن يلزم لضمان راحتنا على جميع خطوط السكك الحديد ولقد سررنا وارتحننا لهذه المعاملة الرقيقة التى تطمئننا بأن السياحة ستكون على أحسن مايرام. وفي المساء بعد طعام العشاء اقيم بللو للرقص ووجد الحاكم العام الذى تناول الطعام باللوكانده ايضا

يوم أول مايو والفصل فصل شتاء كان الجو جميلا جداً فانهزت فرصة ذلك ونزلت لأمشى قليلا بقصد الرياضة وفي الساعة الثامنة ونصف صباحا نزلنا بالترام الى شركة الوابورات لمشاهدة صورة الباخرة التى سنسافر عليها من مدينة السكاب ثم ذهبنا لزيارة ممثل جنوب افريقيا فوجدناه رجلا وديعا ظريفا يدعى المستر لنج وبعد عشر دقائق ذهبنا مرة اخرى الى حديقة النباتات وحيث لم نجد رئيس الحديقة عدنا وفي

الساعة الثانية بعد الظهر ركبنا السيارة للتنزه لجهة تبعد ثلاثين ميلا عن المدينة ولكن بعد أن قطعنا جزءا من المسافة في طرق متسعة لم نجد شيئا من المناظر التي تستحق الاستمرار في سيرنا غير ما نصادفه من بعض الاشجار العادية وبعض مزارع أدره ونساء من الزوج يحملن اولادهن وحواليهن فقررنا العودة ثم رجعنا الى حديقة النباتات وقابلنا رئيسها الذي علمنا منه أنه لا يوجد بين ما عنده من الاشجار والزهور ما نحتاج اليه لانها من الانواع الموجودة بمصر وقد أخبرنا فقط أن الشجر الذي رأينا منه كثيرا في طريقنا ذى الاوراق الالامعة الخضراء. والتي بعضها أحمر اللون هو شجر اكاجو ثم عدنا الى اللوكاندة . وفي يوم ٢ مايو صباحا توجهنا في الساعة الثامنة ونصف لزيارة مستر هارت مندوب شركة يونيون كاسل في منزله لرؤية حديقة ثم رجعنا لتجهيز أمتعتنا للسفر ولتناول طعام الغداء وفي الساعة الواحدة بعد الظهر ركبنا سيارة ومررنا بمنزل الحاكم العام ترك بطاقة الزيارة ثم الى محطة السكة الحديدية

خطوط السكة الحديدية بجنوب أفريقية أضيق قليلا منها بأوربا ولذا تجد طريقة المرور داخل العربات ضيقة جداً أما ديوان الجلوس فعلى حسب العادة من جهة الاتساع وقد وجدنا محلات محجوزة لنا بالقطار وفي الساعة الواحدة والنصف قام القطار ومعنا مندوب من حكومة جنوب أفريقيا لمباشرة تسهيلات المرور بالحدود وبعد ساعتين وصلنا حدود الترنسفال كل ما تراه العين اشجاراً مبعثرة وسط الخشائش

التي تصلح للمرعى فهي صالحة لتربية البقر والبهائم وتوجد أيضاً
 أشجار من نوع الصبار وآخر يشبه شجر الدوم
 بدخولنا أراضي الترنسفال من أول الحدود وجدنا فرقاً من جهة
 دقة النظام وجودة الاراضى وثروتها الطبيعية وابتدأت المناظر تتحسن
 وكان القطار يسير بجانب نهر على شاطئه أشجار كبيرة قديمة أما الارض
 حجرية ورملية حمراء من لون الطوب الاحمر كما هي في معظم الجهات
 بشرق افريقيا ولم نجد بمستعمرات البرتغال مزارع عظيمة كالتى ببلاد
 الترنسفال حيث مررنا بكثير من المزارع المنتظمة الشاسعة بها كثير
 من شجر الليمون وشجر الباباز وفاكهته محبوبة في تلك البلاد
 وتوجد أيضاً مزارع القطن وفي المساء رأينا بالمحطات كثيراً من
 الناس ينتظرون القطار ومعهم مصاييح لبعدهم مساكنهم ولعدم
 وجود الاضاءة في الطرق الخلوية ولبعد المسافات من بلدة لاخرى مع
 قلة الاهالى

لم نستطع النوم فى الليل لهزات القطار العنيفة عند وقوفه وقيامه
 من المحطات وكان القطار يقف كل ربع ساعة تقريباً فى محطة وكان
 البرد شديداً ولما وصلنا بريتوريا علمنا من جرائد جوهانسبرج أن
 تلك الليلة كانت أشد درجة فى البرودة منذ أربع سنوات ، وصلنا تلك
 المدينة فى الساعة السادسة صباحاً وهى العاصمة الادارية لحكومات
 اتحاد جنوب افريقيا ويبلغ عدد سكان تلك المدينة ٤٥١٦٣ من الجنس
 الابيض و ٢٨٦٠٠ من الزنوج وهى على ارتفاع ٤٤٧٠ قدماً عن سطح

البحر . لم تصل أمتعتنا السفيرية من المحطة الى اللوكاندة قبل الساعة العاشرة صباحا لان الجمر ك لا يفتح قبل الساعة التاسعة صباحا وبمجرد وصول العفش غيرنا ملابسنا وتوجهنا لسراى الحكومة وهى على مرتفع خارج المدينة تشبه موضع القلعة فى ارتفاعها بالنسبة للقاهرة وهى بناء ضخم عظيم يليق أن يكون سراى الحكومة وبلغت تكاليف بنائه نحو مليونين من الجنيهات وهذا ليس بكثير بالنسبة لفخامة البناء وثروة البلاد وكنت أود أن أرى مثل هذه الأبنية العظيمة فى القاهرة عاصمة مصر

البناء ذو طابقين موضوع بشكل هلالى من الوجة ويصعد اليه من حديقة واسعة بدرج يشبه المصاطب وممشى بين الزهور المختلفة الجميلة والنباتات والاشجار الياينة حولها طرق من الاسفلت توصل الى السراى من طرفيها والترامواى يصل من طريق منخفض عن الطريق المعد للسيارات وكل ذلك بغاية من النظام والاتقان فصعدنا من الطرف الايسر وقصدنا وزارة الزراعة حيث دخلنا عند المستر جرين الذى قابلنا مقابلة جميلة وعرض لى عما أرغب رؤيته والاستعلام عنه وبعد أن تكلمنا عن كل ما يهمنى توجه معى الى مكتبة عظيمة بقسم الزراعة ومن هناك زرت الميجر الكسندر رئيس القسم السياسى التابع لادارة حاكم عام جنوب افريقيا وهو اللورد اتلون وكان قديما يعرف باسم البرنس دوتك وهو شقيق ملكة انجلترا الحالية ولى به معرفة قديمة وجمعتنا الظروف كثيرا قبل ذلك وقد أخبرنى الميجر

أن جناب اللورد يرغب في دعوتي للعشاء دعوة رسمية يدعو فيها نحو أربعين من العظماء والوجهاء بجنوب افريقيا ولكن اعتذرت وتأسفت لعدم امكاني تلبية دعوته للعشاء لاني لم اعد معي ملابس السهرة في هذا السفر ولم أعود الخروج ليلا فطلبت منه أن يعين لي موعدا لزيارة جناب اللورد فوعد أن يخبرني تليفونيا باللوكاندة

وهذا الميجر الكسندر كان بالجيش المصرى ياورا للسير ونجت باشا ولما صار السير ونجت مندوبا ساميا في مصر كان جنابه موجودا معه أيضا ولذلك يعرف كثيرا من المصريين وبعد أن رافقنا لمشاهدة الحدائق وعرفنا برئيس قسم النباتات تركنا معه موصيا هذا الرئيس بالاهتمام بكل ما أطلب وقد وجدناه أيضا رجلا مجاملا ظريفا وسألني عن كل ما يهمنى من النباتات فقلت له ان كثيرا من الناس يشرونى بوجود كثير من النباتات التى أبحث عنها في جهة دربان ولكن علمت منه أن حديقة النباتات هناك قلت أهميتها منذ ضمت للبلدية ثم أخذنى لقسم الهر باريوم وهو قسم تجفيف النباتات وقدم لنا رئيس هذا القسم ثم أرانى سيدة ترسم النباتات بالبوية بألوانها الطبيعية لانهم يشتغلون الآن بعمل مجموعة علمية لزهور جنوب افريقيا وقد أتموا منها ثلاثة أجزاء ومن هناك توجهنا لرؤية نوع الصبار الذى يهمنى حيث عرفتهم عما أرغب اقتناؤه من هذه الانواع وقد وعدونى بارسال ما طلبته وكان وعدم صادقاً ثم عدنا لتناول الغداء باللوكاندة في الساعة الواحدة وربع بعد الظهر ولم أخرج باقى هذا اليوم لاني صادفت برداً

ألزمني الفراش وفي الساعة التاسعة مساءً أخبر مختار افندى بالتليفون أن الحاكم العام يدعوني لتناول الغداء في اليوم التالي وسيُرسل لنا سيارته يوم ٤ مايو صباحاً كان الجو ملائماً والسماء صافية والشمس ساطعة فمشينا في الساعة التاسعة صباحاً على الاقدام ولكونه يوم الاحد كانت الدكاكين معطلة وفقط كنا نرى ما فيها من وراء الزجاج . المدينة مخطوطة على الطريقة الامريكية شوارعها متوازية ومتقاطعة واغلب منازلها بدور واحد وبلكونات أو تندات من الحديد مثل بور سعيد لمنع المطر وحرارة الشمس في فصل الصيف والشوارع نظيفة منتظمة والترامواي ايضا ومن الغريب أنه في بلد مثل البلاد الاوروبية نرى كثيراً من الزوج لايسين ملابس افرنجية وقبعات ولكنهم حفاة الاقدام وقد لاحظنا عربات الاجرة التي تجرها الخيل أردأ حالة من عربات مصر وقد رأينا بالسوق عربات نقل تجرها خمسة ازواج من الثيران أو عشر ازواج من الحمير وذلك لصعوبة الطرق وبعد المسافات أما الخيول فقليلة لأنها لا تتحمل المرض بهذه البلاد

وفي الساعة الثانية عشر والدقيقة اربعين جاءت سيارة جناب الحاكم العام فأخذت معي مختار افندى ولبسنا الطرايش احتراماً لسمو الاميرة زوجة اللورد الحاكم وقد وصلنا السراي بعد عشر دقائق ووجدنا على باب الحديقة قره قول حرس من الجند اصطف لتحييتنا عند مرورنا وعند نزولنا من السيارة وجدنا السكرتير الخاص لجناب اللورد في انتظارنا فصعدنا الى الدور الاول وقد قابلنا الميجر الكسندر

ثم استقبلني جناب اللورد بغاية من اللطف وبعد حديث دام ربع ساعة صاحبنى الى الصالون حيث قابلت الاميرة وهى شقيقة جلالة ملك انجلترا الحالى وكان يوجد أيضاً كريمته وبعض سيدات ورجال فصافحتهم جميعاً ثم دخلنا الى صالة الطعام وهى فسيحة الارضاء مرتفعة السقف كبيرة النوافذ مشرحة وكانت سمو الاميرة زوجة اللورد عذبة الحديث بشوشة الوجه لطيفة المحيا وبعد انتهاء الطعام وتناول القهوة ودعهم شاكرآ فى الساعة الثانية ونصف حيث رجعنا الى اللوكاندة فغيرنا ملابسنا لعمل نزهة بالسيارة لرؤية المدينة وما بها مما يهم السائح رؤيته وكذلك بالضواحي فرأيت اكبر ميدان به الكنيسة وحوله مباني شاهقة مبنية بالحجر منها سراى الحقانية وعلى بابها حجر منقوش عليه اسم رئيس الجمهورية القديمة الترنسفالية وهو معروف مشهور يدعى كروجر ثم عمارة البوستة وديوان الحكومة القديم وهذه هى المباني الكبيرة الموجودة بالمدينة والشارع المقاطع لهذه المباني هو اكبر شارع بالمدينة يسمى شارع الكنيسة يبلغ طوله ستة اميال ثم مررنا بمنزل الرئيس كروجر وهو اليوم مستشفى ومن الشارع يرى الانسان الغرفة التى كان يسكنها وبها كثير من الاكاليل التى ارسلت بمناسبة وفاته تذكاراً لوطنيته واعترافاً بفضله ثم مررنا بحديقة صغيرة بها تمثاله وعلى مقربة منها رأينا مدفته . ثم مررنا بالضربخانة « لصك النقود » وستبدأ صك العملة هذه السنة ، ومررنا بمستشفى المدينة والسجن ، ويوجد ايضا مستشفى آخر كبير خارج المدينة خصيص لمرض البرص

وهو يسع ثلاثة آلاف مريض وذلك لا تتشاور هذا المرض بجنوب افريقيا ثم مررنا في نزهتنا بجبال ووديان حول المدينة ومرتفع عال اقيم عليه حصن يسمى نمره ٣ يشرف على المدينة ، والمنظر من هناك جميل ، ومما يدعو للغربة تمكن الانسان من الرؤية على مسافات بعيدة في هذه البلاد مما قد يرجع سببه الى الضوء أو نقاوة الجو فكنا نرى الدخان المتصاعد من معامل جوهانسبرج الواقعة على بعد ٣٥ ميلا . الاراضى ذات هضاب كثيرة مغطاة بالحشائش والارض المنزرعة هي التى فى الوديان

المدينة على النسق الاوروبى ، وقد مررنا بالجامعة والمدارس وهى خارج المدينة وبها مدرسة للبنات ، ثم مررنا بحى به مساكن اغنياء المدينة وكبار موظفى الحكومة ، وقد رأينا فى طريقنا كثيرين من الزوج ونسائهم يتنزهون ، وكان يوم الاحد والاشغال معطلة والدكاكين مغلقة واغلب الجنس الابيض خارج المدينة للتنزه ، وقد لاحظت ان نساء الزوج على غاية من النظافة لابسات ملابس نظيفة وعلى رؤوسهن مناديل حريرية ملونة ولو أن بعضهن حفاة الاقدام لكنهن على اتم نظافة واود لو توفرت هذه النظافة عند الطبقة الفقيرة فى مصر ، أما الرجال من العمال فنادر ما يكونون فى زى نظيف وذلك لما تستدعيه اعمالهم واشغالهم

ان للزوج فى هذه البلاد قوانين خاصة تختلف عن القانون العام فمثلا ممنوع عليهم السير على الارصفة ، وعليهم أن يفسحوا الطريق

للجنس الابيض ، وغير مصرح لهم ركوب الترام ، ولهم عربات خاصة
 بقطارات السكة الحديدية ، ولا يسمح لهم بدخول المحلات العمومية
 مثل البارات والقهواى والتياترات والملاهى واللوكاندات ، وليس لهم
 أن يمشوا بالشوارع بعد الساعة التاسعة مساء الا بجواز خاص يظهره
 للبوليس أثناء مروره ، وعلى كل زنجى أن يحمل معه تذكرة شخصية ومن
 لم يكن معه تلك التذكرة يعاقب بشدة ، والقانون يحرم عليهم تعاطى
 المشروبات الروحية وكذلك يحرم بشدة التزاوج بين السود والبيض
 وكل ما يقع بين زنجى وأبيض من خلاف يفصل فيه بقانونين قانون
 للزنجى وقانون للابيض ، وتلك المعاملة القانونية تتناول كل لون من بنى
 الانسان خلاف اللون الابيض حتى أننا لا قينا بعض الصعوبة بشأن
 خادى الخاص وهو بربرى فاتح اللون وقد منع من ركوب الترام فى
 پريتوريا وعاد دون أن يعلم السر فى منعه كذلك رفض جرسونات
 اللوكاندة فى جوهانسبرج أن يقوموا بخدمته وتأدية طلباته لانه من
 الجنس الملون ولكن علمنا أن الحكومة فى عهد وزارة الجنرال
 سمطس كانت اعترفت تعديل بعض تلك القوانين بالنسبة للاجانب الملونين
 مثل الهنود وغيرهم من التجار اذ طلبوا ذلك من الحكومة مراراً
 واحتجوا على هذه المعاملة تكراراً

مررنا فى طريقنا بحديقة الحيوانات فالقسم الذى به مساكن الهنود
 والعبيد ويتاجر أغلب الهنود فى الفواكه والاقمشة ، وقد وجدنا فيما
 رأينا فى طريقنا عربة جزار مكتوب عليها : جزار مسلم ولا عجب

فالاسلام منتشر أيضاً في شرق أفريقيا وجنوبها وقد رأينا على جهة مرتفعة ما تبنيه الحكومة من الدور الصغيرة لاقامة الزوج والتي تصير ملكا لهم بعد وقت معين مقابل دفعهم اقساطاً مقدار كل منها جنيه وربع

في يوم ٥ مايو كان الجو ملبداً بالغيوم وذهبنا في الساعة التاسعة والنصف الى حديقة الحيوانات والتي فيها رغم صغرها مجموعة جيدة من الحيوانات مثل النسانيس والطيائل والقروود وخلافها ، والحديقة جميلة من حيث نظافتها وما بها من النباتات والاشجار ، وقد علم مدير الحديقة بمجيئنا فحضر لمقابلتنا ، وقد أرانا أسداً كبيراً من بلاد السومال وهو وحش كاسر لم يمكنهم من الحصول على نتاج منه اذ أنه يفترس الانثى التي توضع معه ، ورأينا هيبوبوتام كبير . ذهبنا بعد ذلك الى حديقة النباتات لأوصى على بعض النباتات ثم رجعنا الى الفندق في الساعة الواحدة فأخبرونا بأن الجنرال سمطس سيكون في انتظارنا في سراى الحكومة الساعة الثالثة بعد الظهر فتوجهنا لمقابلته في الساعة المعينة فوجدته وقوراً وفي غاية من الظرف شأن كل موظفى حكومة جنوب أفريقيا الذين قابلتهم ، فتحدثنا مدة ثلاثة ارباع الساعة وعند انصرافى دعانى لتناول الغداء معه فى الكلوب « النادى » . عدنا الى الفندق وبعد قليل خرجنا للتريض سيراً على الاقدام ، رأينا في طريقنا دكاناً صغيراً لبيع الجلود وعند دخولنا فيه دهشنا لسعته من الداخل وما به من رؤوس كثير من الحيوانات الوحشية كالتيائل والجاموس

محنة على اتقن صورة ، وأعجبنا منها دقة الصنع فأخذت مذكرة بعنوان المحل وأثمان الاشياء المهمة وما تتكلفه من الاجر لاطلع عليها سمو الامير يوسف كمال لانه من أكبر المولعين بهذا النوع من الصناعة وعند رجوعنا الى الفندق وجدنا صورة الجنرال سمطس التي كان قد وعدنا بارسالها اليها كتذكرا لسياحتي ومقابلتنا في هذه البلاد وأما المدينة في غاية النظافة ويستعمل لتنظيف الشوارع الكبيرة عربتان يسوق كل واحدة سائقون من العبيد ، ويلتقط بعض العبيد الفقراء أعقاب السجائر من الارض وبذلك تم نظافة الشوارع (يوم ٦ مايو) كان الجو رائقا والهواء طلقا فأخذنا سيارا وتوجهنا لزيارة مايمنا رؤيته فقصدنا مدرسة الطب البيطري والمعمل ، وتصرف الحكومة سنويا على ذلك مبلغ ١٢٠٠٠ جنيتها والمدير رجل قدير يدعى السير آرنولد تيلر وأصله من مدينة زيورخ بسويسرا وتوطن الترنسفال منذ ثلاثين سنة وتحت ادارته عدد من العلماء الاختصاصيين ويهتمون فيها بدرس أمراض الخيل والبقر والغنم وكل الحيوانات المستعملة في الزراعة

ومع أن النباتات كثيرة شائعة والمراعي غزيرة نضرة الا أن النبات في هذه الجهات تنقصه مادة الفوسفور الضرورية لتغذية الحيوان ، وان الحيوان لفي حاجة شديدة الى تلك المادة فلذا يبحث البقر عن عظام الحيوانات ليأكلها معوضة بذلك مادة الفوسفور غير المتوفرة في مرعى هذه الجهات ، وان عدم توفر الفوسفور في الغذاء

يضعف الحيوانات ويفقد من شهيتها فتمرض وتظهر عظام كفلها الخلفية فتلحق بها البقر وتنهش تلك العظام البارزة . وينتهى هذا المرض عند الحيوانات الى مرض تصلب الاعصاب وقد أجرى الاختصاصيون عدة تجارب للعلاج من ضمنها أن يكسروا بعض عظام الحيوانات ويجعلوا البقر يمر بجانبها فالمرضى منها تستوقفها العظام لتأكل منها وبذلك يعلم نقص مادة الفوسفور في مثل هذه الحيوانات فيعطوها مسحوقا من الفوسفور بكميات معلومة لاثباتها حتى تعوض النقص في غذائها وبعد اجراء هذه التجربة مع كثير منها تجدها تنتظر بتلهف الساعة المعينة لتناول الفوسفور ، وقد أفادت هذه الطريقة في علاج البقر في جنوب افريقيا ، ووزع المعمل المذكور مادة لتطعيم حيوانات الالهالى مجانا بما يقدر بنحو أربعين ألف جنيه ، ولهذا المعمل مزرعتان تبلغ كل منهما ثلاثة آلاف فدان لعمل التجارب اللازمة والاستفادة من الملاحظات التى تنتج عنها . ويوجد في المعمل قسم خاص لاكتشاف ودرس الديدان المعدية فى الحيوانات ووجدوا أن أتجح علاج ضد هذه الديدان هو خلط كمية من ورق الدخان مع الغذاء المتناول . ذهب معنا لمشاهدة هذا المعمل طيبيان بيطريان تابعان لحكومة مدغشقر فدهشنا مما شاهدناه ومن كثرة المال المخصص لهذا الغرض وذكرنا بأن حكومة مدغشقر لا تصرف عشر هذا المال للغرض نفسه . وبعد أن شاهدنا غرفة الجراحة وغرفة الميكروسكوب ومحال أخرى ودعنا المدير وانصرفنا الساعة الحادية عشر والدقيقة ٤٥ ، ومررنا

في طريقنا بحقول واسعة مزروعة بأنواع الخضر وعلى نظام بديع أخبرنا السائق أنها تابعة لايطالين ، ورأينا أيضا في طريقنا شجرة كبيرة يطلقون عليها اسم الشجرة البديعة ، وصلنا الفندق في الساعة الثانية عشر والنصف فوجدنا مسترريس مدير فرع شركة كوليجوهانسبرج وكان في انتظارنا للاتفاق على محلاتنا في الباخرة ، بعد ذلك ذهبنا الى النادي تلبية لدعوة المستر سمطس لتناول الغداء وكان قد دعا أيضا الدكتور ايفانس رئيس قسم النباتات وكذلك رئيس ادارة الترنسفال قتناولنا الغداء جميعاً وتجاوزنا أطراف الحديث وودعناهم شاكرين لهم ما لقينا من الحفاوة ، ورجعنا لاعداد لوازم السفر وقد رأينا أثناء طريقنا أولاداً من الهنود لابسين الطرايش راكبين عربات استأجروها بادية عليهم علامات الفرح والسرور فعرفنا أنهم محتفلون بعيد الفطر ، هكذا شأن الهنود فانهم لا يتركون الفرصة تمر دون اظهار تقاليدهم وعواطفهم الدينية

غادرنا بريتوريا قاصدين جوهانسبرج وكانت الساعة الخامسة والدقيقة عشرين وتباخ المسافة بينهما ٤٥ ميلا وقف القطار في أثنائها بمحطة جرمستون التي بها معادن الذهب ، ولما وصلنا الى محطة جوهانسبرج ونزلنا الى الرصيف نمرة ٢ لركوب القطار الى مافيكنج وبولاوايو ، تحرك القطار في الساعة السابعة مساء فانتقلنا الى عربة الاكل لتناول طعام العشاء فوجدناها تفضل مشيلتها في قطار لورانس ماركيس ، واهتزاز العربات في هذا الخط قليل فتمكنا من قضاء ليلة هادئة ،

وهذا الخط يعوزه الكبارى وتنقصه الانفقة « تونيل » ، وصلنا مدينة مافيكنج في الساعة السابعة صباحا وهى على ارتفاع ٤١٩٤ قدم عن سطح البحر وعدد سكانها ٢٢٩٧ وهى نقطة مهمة فى المواصلات الحديدية وبعد أن كانت منتهى خط الكاب أصبحت حلقة اتصال بين الترنسفال والبكيوانالاند ويسكنها حاكم البكيوانالاند ، وعلى مسافة ميل منها توجد قرية عبيد يسكنها ثلاثة آلاف نسمة مع رئيس قبيلتهم التى تدعى بازالنج وهؤلاء هم الذين ساعدوا البوير فى فتح هذه البلاد ولذلك تركوا لرئيس هذه القبيلة حق الحكم والادارة فى قبيلته ، وقد أنشأ الانكايز مدينة مافيكنج فى سنة ١٨٨٥ ومنها ابتدأت ارسالية الدكتور جمس الى الماتابلي وتبع ذلك انضمام روديسيا لمستعمرات انجلترا ، ويوجد بهذه الاراضى مراعى صالحة غنية ويقال أن الحير والخليل تلائمها هذه البقعة اكثر من باقى بقاع جنوب أفريقيا ، والاهتمام كبير اترية النعام ، والمنظر يكاد يكون متشابهاً طول الطريق فالاشجار العالية لا يزيد ارتفاعها عن اربعة أمتار ، والارض تكسوها الخضرة والحشائش ، ويوجد بالجهة الغربية صحراء كاهارى ولكن لم نرها لمرونا ليلا

يبيع العبيد فى المحطات جلوداً لبعض الحيوانات وتمائلا من الفخار والخشب ويظهر عليهم الهدوء والفقر . وقد رأينا قبيل الغروب أسراباً من الجراد وهو أقل حجماً من الجراد فى مصر ، ورأينا كذلك كثيراً من النعام واجتزنا حدود روديسيا ودخلناها فى صباح يوم ٨

مايو ومما هو جدير بالذكر أنه كان فيما مضى قد حذر حاكم ماتابلي
المسمى موزيلسكاتس رجاله وأتباعه من حفر الارض والجبال والانهار
لالتقاط الذهب ، وذلك حتى لا يطعم الاجانب والمستعمرون في
امتلاك البلاد اذا هم رأوا غناها وذهبها ، وفي سنة ١٨٨٩ كان في
عزم البوير وغيرهم أخذ هذه البلاد فلما أحس الانكليز بما يدور في
الخفاء ابتدأ المدعو سسل رد رئيس شركة جنوب أفريقيا الانكليزية
بالهجوم على هذه الاراضي في خمماية من الرجال مسلحين بالاسلحة
الحديثة وأخذ في ضم هذه الاراضي الواسعة الى الاملاك الانكليزية حتى
وصل نقطة تسمى الآن قلعة سلسبرى وذلك في ١٢ سبتمبر سنة ١٨٩٠
فأسس شركة باسم شارترد قومباني لادارة هذه البلاد وظلت الحالة
هادئة الى سنة ١٨٩٣ حيث ابتدأت عشيرة الماتابلي بالهجوم على
البيض وقتلت كثيراً منهم وهاجمت قلعة فيكتوريا ولكن ما لبث
أن انعكس الحال ولما رأى ملك الماتابلي أنه على وشك الانهزام حاول
الهروب وعبر نهر شانجاني فلم يتم له ذلك اذ أحرق به الماجور وكش
بمن معه وقتلوه ، وبعد شهر توفي الملك الآخر المدعو لونجولا فتم
النصر للانكليز اذ ضعفت قوة العبيد بموت ملوكهم وانهزام رجالهم
وأذعنوا في سنة ١٨٩٥ أطلقت الحكومة الانكليزية على هذه البلاد
اسم روديسيا وذلك نسبة الى سسل رد اعترافاً بفضله وفي سنة ١٨٩٨
تمكن الانكليز من امتلاك جنوب روديسيا وحافظوا على الشجرة
الكبيرة التي كان ملوك العبيد ينفذون تحتها الاعدام على المحكوم

عليهم من رعاياهم وكانت عاصمتهم تسمى بولاوايو ومعنى ذلك باللغة الزولية « زولو » محل قتل الناس

يوجد في الضواحي الفحم والاسمنت بكثرة ، أما الذهب فقليل ومدينة بولاوايو مخططة على نظام مدن جنوب أفريقيا فالسوق في وسط ميدان متسع وسط المدينة ، والشوارع متجهة من الشمال الى الجنوب ومن الشرق الى الغرب ، وعلى جانبي هذه الشوارع أشجار على امتدادها ، ومساحة المدينة كبيرة لاتسع شوارعها ، ولان منازلها ذات طبقة واحدة ، وأهم مباني المدينة هي دار البوستان وسراى الحكومة ودار البلدية والمحكمة والبورصة

ان روديسيا مقسمة الى ثلاثة أقسام فالحاكم العام يقيم في فورسبيرى وللقسم الشمالى رئيس ادارة في لفينجستين ومدير القسم الجنوبى يقيم في بولاوايو . سافرنا من بولاوايو الساعة الواحدة بعد الظهر قاصدين فيكتوريا فولز الواقعة على بعد ٢٩٠ ميل ، وهذه المسافة يقدر لقطعها في البلاد الاخرى مدة ست ساعات تقريباً ، الا أنها هنا تقطع في ١٦ ساعة ، والقطار يسير بغاية البطء والعربات أضيق من العربات في الترنسفال وحالتها رديئة بسبب شدة الحرارة وكثرة التراب كذلك لم يكن الغذاء بالقطار جيداً . لا يوجد من المناظر في طريقنا ما يستحق الذكر وفي الساعة الواحدة صباحاً وقف القطار في محطة كبيرة مضاعة بالكهرباء ولما نظرت من النافذة رأيت المعامل والمناجم تشتغل ليلاً ، تيقظت الساعة الخامسة صباحاً وكان ذلك وقت الشروق

فى سماء صافية ومناظر جميلة . ورأينا من بعد سحابة كثيفة علمنا أنها
ناتجة عن شلالات فيكتوريا فاز . وصل القطار فى ميعاده المحدد
أى الساعة السادسة والدقيقة ٢٠ فوصلنا على الاقدام الى الفندق فى
خمس دقائق ، فسررنا اذ وجدناه بديع الشكل مستكملا لاسباب
الراحة والنظافة . وأن الانسان ليعجب أن يرى بلادا كانت فى الماضى
القريب مرتعا للوحوش وموطنا للزئوج لا امان فيها ولا فرق بين
وحشها وانسها ، بلادا كانت هذه حالتها تتحول الى حالتها اليوم فيسكنها
المتمدنون ويؤمها السائحون وفيها ما يكفل للمرء الطمأنينة والراحة ،
وبها هذا الفندق العظيم الحديث النظام الجميل المقام . وجدنا أن كل الخدم
من العبيد الا القليل من الافرنج ، ووجدنا خادما من زنجبار يتكلم
العربية ، وكى يسر الانسان اذ يرى من يتكلم بلغته فى بلاد غريبة نائية
وكنت أود أن أرى بين من أرى من أهل الهند وجاوا وزنجبار
وغيرها مصريين ينقلون الى تلك البلاد لغتهم وما يمت اليها لاسيما وان
المصريين يعلمون انهم أرقى أهل البلاد العربية ان لم تكن الشرقية فكان من
الواجب عليهم أن يضربوا فى الارض ليستطلعوا عجائب الدنيا فينقلون
الى وطنهم ما ينقصه من ثمار الطبيعة وما غاب عنه من بدائع الفكرة
الانسانية من مخترعات فنية ونظامات مختلفة كباقي الامم المتمدينة التى
امتازت بالنشاط والتزاحم فى سبيل الحياة القومية

بعد ساعة من الاستراحة ووصول منقولاتنا الى اللوكاندة

نزلنا الى عربات « ترولى » تسير على شريط حديدى ويدفعها الزئوج

حيث أفلتنا الى كوبرى السكة الحديدية وهو معلق يرتكز بطرفيه على الشاطئين فقط حيث يبلغ ارتفاعه عن سطح الماء ٣٥٠ قدما ولا يعلم عمق الماء في هذه البقعة لشدة التيار وأما الارتفاع من منتصف الكوبرى الى سطح الماء فيبلغ خمسمائة قدم وذلك أعلى كوبرى وجد في العالم ويبلغ طوله ٦٥٠ قدما وقد تم بناؤه في سنة ١٩٠٤ . سرنا على هذا الكوبرى حيث رأينا أول مرة منظرا عموميا للشلالات وهى مدهشة مهيبه وأول أوروبى اكتشفها هو الدكتور ليفنجستون في سنة ١٨٥٥ ميلاديه وقد سماها على اسم الملكة فيكتوريا «شلالات فيكتوريا» بنهر الزنيرى وتكثر المياه في وقت فيضانه في شهر ابريل حيث يزيد ارتفاع المياه عن الحالة العادية خمسين قدما ومن الغريب أن هذه الشلالات ليست كغيرها مما يراه أو يتصوره الانسان كأنحدار المياه في مجراها اذ الأرض مستوية وانما تأتي مياه النهر الى هذه النقطة من الشلالات فتسقط الى منخفض عميق ضيق أشبه بواد أحدثته قوة المياه مع الازمنة الطويلة حيث شقت بين الأرض المستوية واديا عميقا ويوجد في أمريكا ما يشبه ذلك بنسبة صغيرة ويسمونه كانيون

يبلغ عرض نهر الزنيرى قبيل الشلالات ميلا وربعاً حيث هناك يوجد كثير من الجزائر صغيرة وكبيرة ثم ينقسم الى أربعة أقسام فالقسم الجنوبي يسمى شلال العفريت ويبلغ عرضه ٩٠ قدما وتسقط منه المياه الى عمق ٢٥٠ قدما ثم الشلال الكبير الذى بين جزيرة لفنجستون

وجزيرة الشلال وهذا تقسمه صخرة كبيرة الى قسمين القسم الاول عرضه ٥٧٣ ياردة والاخر ٣٢٥ ياردة ثم شلال قوس القزح وعرضه ستمائة ياردة وبعده الشلال الشرقى حيث رأينا أول مرة وكان لجلال منظره فى النفس ما يورثها اعترافاً بقدرة الخالق وعظمته ويهر العين بجمال الطبيعة . ذهبنا من هناك لرؤية غابة كثيفة من النخيل منخفضة عن سطح الارض يسمونها مغارة النخيل وبعد مسافة قصيرة عدلنا عن الذهاب اليها لان طريقها وعرو ومن تلك النقطة يرى الانسان وهو فى المنخفض العميق مع مستوى الماء تيارا شديدا بدوامات مزعجة قادمة مع الماء من مصب الشلال ويوجد أحيانا فى هذه الجهة بعض التماسيح وأثناء عودتنا حيث كان الطقس حارا استرحنا قليلا على مقعد تحت شجرة نسرح نظرننا فى عجائب الطبيعة فرأينا نسانيسا فى الوادى تقفز على الأشجار وتداب بعضها وتصرخ فكان لنا منها تسلية مضحكة ثم استأنفنا سيرنا فى العودة الى اللوكاندة ومن هذا الطريق يوجد طريق الى بلدة ليفنجستون عاصمة روديسيا الشمالية وهى تبعد سبعة أميال من الشلالات . بعد الظهر أشير علينا بالذهاب لرؤية الغابة الممطرة أو غابة الامطار فارتدينا المسكنتوش « أى بالطو المطر » على ثياب خفيفة وقبعات خصيصا للمطر وقمنا فى الساعة الرابعة مساء بعد تناول الشاي وكان معنا الدليل الزنجى فوصلنا الى نقطة بأول الكوبرى تسمى الجهة الخطرة وحقيقة أن الارض مقطوعة الى أسفل عميق ومن الخطر أن يقف الانسان على حافة المنحدر أو يسير بالقرب منه لاحتمال

انهيار الارض من الحافة ومن هناك رأينا عظمة المنظر المهيّب الهائل لهذه الشلالات وكان المطر يهطل علينا بغزارة والحقيقة أنه ليس مطر عادى وانما هى المياه المتصاعدة من قاع الشلال بشكل البخار بعد سقوط المياه واصطدامها بالحجارة وما ينشأ عن ذلك من ضغط الهواء الذى يقذف برشاش الماء الى ارتفاع يبلغ من خمسين الى مائة مترا عن سطح الارض فيكون سحابة ممطرة باستمرار ثم دخلنا غابة كثيفة بمختلف الأشجار تشبه الغابات الوحشية بخط الاستواء التى تستلزم لمن أراد السير فيها ان يخترق طريقه بين أشجارها المتعانقة الأطراف كذا قد وجدنا بها بعض طرق متجهة نحو الشلال فسرنا فى احداهما وجهة شلال قوس القزح وهناك رأينا قوس قزح كامل الدائرة كان مثل حلقة تمر بجانب قدمى وبجانبه قوس قزح آخر وأظن أن هذا ناشئ عن الماء والشمس ويقال أيضا أنه يرى كذلك فى الليالى القمرية ثم مررنا فى سيرنا وسط الغابة بأشجار من الفيكس والنخيل وغيرها الى أن وصلنا نقطة رأينا منها الاربعة شلالات حيث كان المنظر مدهشا يأخذ بالعقول والابصار فنطقت قلوبنا بعظمة مجد الخالق وأعجبنا بعجيب صنع منشىء الأكوان وقدرنا فوائد السياحة وواجبها على كل انسان استطاع اليها سبيلا خصوصا من تيسر له المال والوقت حتى يفوز بمشاهدة بدائع الكون فى عصر امتاز عن العصور الماضية بكثرة المخترعات وغرائبها مما ذلل عقبات الاسفار على سطح المعمورة براً وبحراً وفى الهواء وغير ذلك مما يعلمه الخالص والعالم

كان معنا اثناء عودتنا في عربات الترولى رجل بلجيكى مع عائلته يقصد في سفره بلدة اليزابت فيل وهى واقعة جنوب خط الاستواء باحدى عشر درجة ويقال أنها أنشئت على النسق الاوروبى ولما كانت المعادن على اختلافها فى تلك الاقطار تجلب الاوروبيين اليها ترام يهيئون بها من وسائل الراحة وحاجيات المعيشة ما يلزمهم لتسهيل الإقامة بها

ان خط السكة الحديدية الموجودة بتلك البقاع « روديسيا » هى الجزء الجنوبي من خط السكة الحديدية المزمع انشاؤها منذ زمن بين مصر والكاب

يوم ١٠ مايو كان الطقس حاراً فشينارؤية شجرة كبيرة اسمها بواباب ولكن لم نجد لها اكبر من الاشجار التى بالزنجبار واثناء عودتنا مررنا بشاطئ نهر الزامبىزى وسط الاشجار فصادفنا مكانا لم نكن رأيناه من قبل وهو على شلال العفريت ميزته الطبيعة بجمال يسحر الانظار فكشنا قليلا لتأخذ العين قسطا من رائع جمال الطبيعة ثم رجعنا الى اللوكاندة ومنها الى بائمين بمنزليهما جوار المحطة يبيعان اشياء من صنع تلك البلاد وأهلها . يوم ١١ مايو كان الطقس لطيفا والجو دافئا فأمضينا نصف النهار فى راحة وهدوء وبعد الظهر فى السباحة الثانية ذهبنا لركوب موتربوت بقصد التنزه بنهر « الزامبىزى الأعلى » ولرؤية عدة جزائر فى وسط النهر وكان الموتور نظيفا بقوة ٣٠ حصانا ولاحظنا أن سائقه الانجليزى قد وضع اشارات من عصى حديدية قائمة

في النهر ليستدل منها على خط السير بالنهر لان به صخوراً عالية وليس عميقاً بقدر الكفاية في كل جهاته وكانت الشواطىء والجزر في زى جميل بها كثير من الاشجار المتدلية في النهر وسرنا حتى وصلنا الى جزيرة صغيرة تسمى كالاي فوجدنا بها زوارق صغيرة لاشخاص جاؤا للتنزه من لفنجستن ومعهم غذاءهم حيث أمضوا يومهم تحت ظل الاشجار الكبيرة بتلك الجزيرة ولقد وجدنا في وسط الغابة طريقاً أو ممراً لمرور السائحين وكذلك بعض مقاعد من الخشب وليس هناك خوف من وحوش أو حشرات لانها خالية من ذلك فقط توجد الطيور ويوجد ايضا النمل الابيض بكثرة وقد يستلفت نظر الانسان اثر ما يعمله هذا النمل اذ تراه ينخر الشجر الكبير حتى يقطعه فيقع وكذلك يفجر في الارض وينشئ من التراب ما يشبه ماموداً وتحتة أشبه بمغار ليكون بيتاً له به طرق وبيوت منفصلة عن بعضها ، ثم مررنا بالجزيرة فوصلنا على مقربة من شلال صغير يبعد ثمانية أميال من الشلالات العظيمة وهناك وقفنا بجانب جزيرة تسمى كاندهار تذكراً لزيارة اللورد روبرتس أوف كاندهار لها بعد حرب البوير وأنها تشابه الأخرى سوى ما وجدناه بها من نوع الياسمين الزكى الرائحة وآسف لعدم وجود بذور منه

النهر عظيم في اتساعه حتى أن المياه عند ما تعلو ثلاثة أقدام في جهاته الواسعة يباغ غلوها في مضائق الشلالات خمسين قدماً . عدنا بعد هذه النفسحة بالموتور ونزلنا الى الشاطىء من حيث تذهب الى

اللوكاندة ومررنا في طريقنا مرة أخرى بالنقطة التي تطل على شلال العفريت .

يوم ١٢ مايو كان موعد سفرنا من فيكتوريا فولز في الساعة ١٢ وليس هناك في طريقنا ما يستحق الذكر . وفي يوم ١٣ مايو صباحاً وصلنا الى بولاوايو وبعد طعام الفطور بسرعة قمنا في الساعة الثامنة ونصف بالسيارة لرؤية تلول ماتوبوس وكان الهواء شديداً والجو بارداً وكان الطريق متعباً قليلاً وذلك لقلة الأهلين من السكان ولبعد المسافات فلا يمكن أن تكون الطرق مثلها بأوروبا وكان الجو ينذر بمطر ولكن تحسنت حالته وسطعت الشمس وبعد سبعة عشر ميلاً من المدينة مررنا بلوكاندة صغيرة بجانبها تفتيش كبير يبلغ مائة وخمسة عشر ألف فداناً أهده سسل رود للحكومة التي أنشأت لتلك الاراضى خزان مياه كبير في سنة ١٩٠٣ يسع ٩٠٠ مليون جالون من المياه وقد صرف لعمله ثلاثين ألف جنيه ومما ساعد في قلة المصاريف أن استفادوا من وجود جبلين بشكل سور حول المياه والحكومة تعطى من هذه الاراضى قطعاً ذات الالفين فدان بالاجار وقبل وصولنا الى مدفن سسل رود بأربعة أميال مررنا من بوابة وسط حديقة كانت تابعة لسسل رود وأعطيتم مع التفتيش للحكومة والابواب الموضوعة في نهايتى الطريق أهديت من مستر بايت وهو من كبار المالىين بجنوب افريقيا بعد سسل رود . قد تغيرت المناظر بعد اجتيازنا تلك البوابة اذ رأينا التلول عبارة عن صخور كبيرة ذات ألوان مختلفة موضوعة فوق

بعضها بأشكال غريبة على حالتها الطبيعية ثم وصلنا الى موضع المدفن حيث وقفنا فوجدنا مستر داوست رئيس ادارة التفتيش في انتظارنا ليرينا ماتهم رؤيته فصعدنا سيراً على الأقدام الى مرتفع في مدة ٢٠ دقيقة اذ وصلنا الى قمة صخرية بها قبر منحوت في الصخر ومغطى بلوحة حديدية مكتوب عليها « هنا يرقد سسل رود » وبجواره مرقد الدكتور جيمس وله شهرة محترمة في تاريخ جنوب افريقيا وعلى بعد ثمانين ياردة من هذه النقطة يوجد تمثال مربع من حجر الجرانيت وعليه من الاربع جهات هياكل من النحاس بصور أشخاص المحاربين المتطوعين تحت رئاسة الماچور النولسن الذين قتلوا في معركة مع الزنوج بجوار نهر شانبجاني . يقال ان هذا الموضع المرتفع الذي به المدفن كان يعتبر عند عبدة أو زنوج الماتاييلي مكاناً مقدساً . بعد ما شاهدنا من هذه القمة الوفا من التلول والوديان التي تحيط بها وهي ذات أشكال غريبة نزلنا قاصدين العودة فودعنا المستر داوست الذي أفهمنا بوجود طريق آخر جديد وقد وصفه للسائق فركبنا السيارة وسرنا من هذا الطريق الى أن وصلنا اللوكاندة الساعة الواحدة بعد الظهر وقد أردت الراحة قليلاً بعد طعام الغداء ولكن في الساعة الثانية ونصف بعد الظهر جاء مختار افندي وأخبرني بوجود بعض من الهنود جاءوا لزيارتي فارتديت ملابسى وذهبت لمقابلتهم فوجدت اثنين من الهنود وثالثهما من جاوا وهم من زعماء الجمعية الاسلامية في مدينة بولاوايو فدار الحديث يثننا عن حالة المسلمين هناك وبعد قليل انصرفوا وحيث

كان لدينا متسع من الوقت قبل قيام القطار قد قطعت المسافة الى المحطة سيرا على الاقدام فوصلت الى الرصيف قبل قيام القطار بعشر دقائق فقصدت الى الديوان المخصص لى بعربة القطار فوجدت بعضا من الهنود جاؤا لتوديعى ومعهم بذت صغيرة تسمى حنيفة قدمت لى باقة من الورد والزهور وكان معهم ثلاث سيدات من الهنود ايضا فشكرتهم على رقيق احساسهم وجميل شعورهم بالرابطة الدينية والعلاقة الشرقية ثم قام القطار فى الساعة الخامسة مساء ولا حاجة لوصف ما بالطريق لان ما به سبق وصفه اثناء مرورنا من جوهانسبرج الى بولاوايو فقط لا يفوتنى أن اذكر ما صادفناه فى اليوم الثانى بالقطار حوالى الساعة واحدة بعد الظهر اذ غشينا سحاب كثيف حجب عنا الشمس وهو عبارة عن ملايين من الجراد فكان ينكشف ذلك السحاب تارة ويغشاها تارة أخرى واستمر على ذلك نحو نصف ساعة فقفلنا النوافذ والابواب اذ دخل بعضه من النوافذ

فى يوم ١٥ مايو صباحا حوالى الساعة الخامسة كان القطار واقفا بمحطة جوهانسبرج وهذه المدينة مرتفعة عن سطح البحر بمقدار ٥٧٤٠ قدما ويبلغ سكانها نحو ١٥٤ الفا من البيض و ١٣٨ الفا من الزنوج والشرقيين أى الملونين وهذه المدينة انشئت فى سنة ١٨٨٦ وكانت الاراضى اذ ذاك بخسة الثمن لا قيمة لها حتى أن اصحاب المراعى كانوا يستبدلون جزءا كبيرا من مساحة الارض نظير اثنى عشر ثورا « ثمن الثور من خمسة الى عشرة قروش » وفى اوائل سنة ١٨٨٦ اكتشف الذهب فى

تلك البقعة فبدى بتأسيس المدينة وانشائها وحينئذ ارتفعت قيمة الارض حتى أنه بعد تسع سنوات من تأسيس المدينة بيعت قطعة ارض للبناء فى شارع من شوارعها بمبلغ اثنان وعشرين الف جنيه وبعد سنتين صارت قيمتها أربعين الف جنيه وعلى ذلك اخذ ارتفاع الاثمان واتساع المدينة فى استمرار وازدياد حتى أنه فى سنة ١٩١٨ بعد انتهاء الحرب الكبرى اشترى احد المصارف المالية قطعة ارض مربعة طولها خمسين قدماً وعرضها كذلك بمبلغ خمس وعشرين الف جنيه

يعتبرون هنا أن جوهانسبرج اكبر مدينة افريقية بعد القاهرة من حيث مساحتها وعدد سكانها وقد بلغت هذه المدينة الى حالتها الحاضرة من الاهمية والاتساع فى مدة خمس وثلاثين سنة وهذا مما يدهش الانسان اذا تذكر أنه قبل تلك المدة كانت تلك الاراضى عبارة عن صحراء وقد أصبحت الآن مدينة جميلة ذات بساتين وأشجار تحوطها غابات منشأة بيد الانسان ومما يزيد أهميتها أنها واقعة فى وسط بلاد افريقيا الجنوبية اذ تصل اليها المتاجر من الكنجو وروديسيا شمالا ومتصلة أيضاً من الشرق بمرفأين كبيرين وهما دلاجوا ودربان ومتصلة أيضاً بمدينة السكاب جنوباً وبمرفأ ولفشباى غرباً فهى مركز تقابل بين أكبر مدن جنوب وأواسط افريقيا . تنقسم المدينة الى مائة وستة عشر قسماً ومما زاد فى اتساعها وجود مناجم الذهب بوسط المدينة ويبلغ طول طرقها التى تصرف عليها البلدية سبعمائة ميلاً ، بها أبنية

ضخمة حديثة الطراز منها دار المحافظة صرف في انشائها ٤٥٠ ألف جنيه
 ودار المحكمة العليا صرف في انشائها ١٣٥ ألف جنيه وبها البورصة
 المالية ومدرسة المعادن ودار الكتب وجملة كنائس ومعبد لليهود
 الذين يبلغ عددهم خمسين في المائة من أهل المدينة ويبلغ عدد المعابد على
 اختلافها مائة وستين ومستشفى كبير صرف في انشائه ١٢٠ ألف جنيه
 وكذلك صرف لبناء المذبح « سلخانة » مبلغ خمس مائة ألف جنيه يذبح
 به سنوياً ستماية ألف حيوان ويوجد بها ميادين لسباق الخيل وللالعاب
 الرياضية وكل ما يلزم لمدينة عظيمة غربية حديثة

نزلنا بلوكاندة كاراين في تلك المدينة وهى تضاهى لوكاندات
 أوروبا العظيمة وقد سررنا لما جاءنا مستر ريس وكيل محل كوك في
 الساعة التاسعة صباحاً وأخبرنا أنه حجز لنا غرفاً على أكبر باخرة
 ستغادر الكاب الى أوروبا في يوم ٦ يونيه

نزلنا للسير قليلاً في شوارع المدينة ثم عدنا وفي الساعة الثالثة بعد
 الظهر ركبنا سيارة وذهبنا الى حديقة الحيوانات وهى شهيرة بانتاج
 السباع وتوليدها وهذه الحديقة على أرض واسعة الأرجاء تحت ادارة
 البلدية التى لها ايراد عظيم وجعلت دخول الحديقة دون مقابل وقد
 شاهدنا بها كثيراً من السباع وأشبالها وحيوانات أخرى مختلفة
 الأجناس ثم خرجنا في الساعة الخامسة وربع للعودة الى اللوكاندة حيث
 مررنا في طريقنا بكثير من أشجار الكافور والصنوبر وقد أنشئ كل
 هذا في ثلاثين عاماً وذلك مما يدل على أنه لو أردنا انشاء مثل ذلك في

مصر لا مكننا دون أى صعوبة ثم مررنا بالحى الذى يسكنه الاغنياء وهو فى غاية من الرونق والنظام فوصلنا اللوكاندة الساعة السادسة مساء يوم ١٦ مايو كان الطقس حسنا وفى الساعة ٩ صباحا جاء مستر ريس وكيل محل كوك فذهبنا معه لادارة مناجم الذهب حيث عرفنا برئيس الشركة المستر صامويل ايفينس وهو رجل كبير السن كان فى مصر سنة ١٨٨٥ وكيلا للسير ادجار فينس الذى كان مستشاراً مالياً بمصر فى ذلك العهد وكان قد سافر معه الى الاستانة لتأسيس البنك العثمانى ومن هناك اتدب للذهاب الى بغداد وطهران لتأسيس فروع هذا البنك وبذلك سنحت له فرصة السياحة فى بلاد الشرق مما زاده خبرة فائقة فى ادارة الاعمال المالية الكبرى ، وبعد التعارف والتحية نزلنا جميعاً وركب هو ومختار افندى سيارة وتبعناهما فى سيارة أخرى حتى وصلنا الى مكتب ادارة المناجم بعد عشر دقائق وهناك تعارفنا برئيس الادارة مستر ولتن الذى استقبلنا فى مكتبه وقد أخبرنا أن هذه الشركة كونت بانضمام ثمان شركات فصارت شركة واحدة تسمى شركة مناجم كروترو والآن يحفرون الى عمق ثلاثة آلاف قدم تحت سطح الارض فى مساحة عرضها ثلاثة أميال وطولها ثلاثة وهذه المساحة تحت سطح الارض ويوجد خمسة عشر منفذاً للنزول اليها ولارسال التربة والحجارة التى تحفر بها الى سطح الارض وجميع الآلات والمكينات بهذا المنجم تدار بقوة كهربائية تصل اليه من مسافة تبعد عنه وعن المدينة أربعين ميلاً ويوجد داخل المناجم فى بطن الارض سكة

حديدية تسير عليها عربات حمولتها ثمانية أطنان لحمل الحجارة المستخرجة من الحفر وعند تمام استيفاء تعبئة العربات التي حمولتها ستين طنا يذهب القطار الى مصعد كهربائي يرفع عربة فعربة من حمولة ذات الثمانية أطنان الى سطح الارض حيث يفرغها على ملف من الحديد يبلغ اتساعه مترا « يشبه السير العريض » وطوله ستون مترا ويدور الى أعلى بميل خفيف وهو يحمل الحجارة حيث يوجد بجانبه عمال من العبيد يلتقطون الحجارة الخالية من التبر فيلقوها خارجا ويتركون التي بها التبر اذا تختلف عن الاولى بوجود قطع بللورية اللون ملتصقة عليها وأثناء انتقال الحجارة بدوران هذا السير الحديدي ترش عليها المياه بواسطة جهاز تخرج منه المياه بشكل الرشاشات حتى تمنع تصاعد التراب الذي يضر بالرئتين فيسبب أمراضا صدرية ويبلغ مقدار المياه التي تصرف في هذا المنجم يوميا مليونين من الجالونات فجزء من هذه المياه يؤخذ من نهر والجزء الآخر يؤخذ من قاع المنجم بواسطة طلمبات خاصة ترفع المياه الى سطح الارض ويوجد لهذه العملية طلمبة في الطبقة التاسعة عشر تحت سطح الارض ترفع المياه الى الطبقة الثالثة عشر حيث ترفعها طلمبة أخرى الى سطح الارض وهذه الطلمبات ترفع يوميا ثلاثمائة وخمسين ألف جالونا من المياه التي تكرر بعد رفعها بواسطة آلات مخصوصة لتصير مياهها صافية نظيفة . ان أعماق فتحة موجودة الآن هي على مسافة تبلغ خمسة آلاف وخمسمائة قدما تحت سطح الارض ينزل اليها العمال بواسطة مصعد كهربائي يقطع هذه المسافة في خمس دقائق وذلك لثلا

يضيع من العمال وقت في نزولهم . يوجد خمسة آلاف مروحة كهربائية كبيرة لارسال الهواء اللازم للعمال تحت سطح الارض اذ تبعث اليهم مقدار ستمائة الف قدماً مكعباً من الهواء في الدقيقة الواحدة وذلك ما يلزم لأجل تنفس العمال ولايجاد جوحوى تحت الارض . بعد فرز الحجارة وانتقاء الصالح منها ترسل الى آلات طاحنة تجعلها تراباً وتلك الآلات تطحن خمسمائة طن من الحجارة في الساعة ثم تنقل في عربات حمولة خمسين طناً الى طاحونة أخرى لإعادة الطحن ولغسيه بالمياه ومع دقة هذا العمل يستخرجون مقدار ستين في المائة من الذهب الموجود بالتراب ثم بطريقة أخرى تكميلية يستخرجون خمس وثلاثين في المائة فيبقى خمسة في المائة من كمية الذهب الموجود بالتراب وهذا يعد فاقداً في اجراء هذه العملية الدقيقة لاستخراج الذهب من الحجارة والأتربة وهذا لعمري جزء ضئيل بالنسبة للفائدة الكبرى التي تنتج باستعمال الطرق الفنية والمكينات في مثل هذا العمل خصوصاً اذا حسبنا السرعة واقتصاد الوقت بفضل تلك الآلات الفنية وتلك لاشك معجزة واضحة تشهد بفضل تقدم الاختراع والفنون ، ولقد علمنا أنهم عملوا تجربة وصلوا بها في الحفر الى عمق ستة آلاف وأربعمائة قدم عن سطح الارض وهذا يكون مع مستوى سطح البحر

ذهبنا الى جانب من المنجم لمشاهدة صب الذهب وجعله سبائك فوجدنا أفرانا خصبية لاذابة الذهب وقد صبوا أمامنا قالباً من الذهب تبلغ قيمته سبعة آلاف جنيه وهو حجم القوالب التي شاهدناها أمامنا

معدة للبيع وقد رأينا على طاولة قطعا من الذهب بحالاتها المختلفة عقب استخراجها وهى بعد تنظيفها بمواد كيمياوية تظهر ذهبيا خالصا بشكاه العادى المعروف للناس

ثم مررنا بالعنابر حيث يوجد بها مختلف أنواع النجارة والحدادة والسباكة وغير ذلك من الصناعة التى تلزم للمناجم ثم ذهبنا لنستعد للنزول الى المنجم فدخلنا مكتب رئيس هذا القسم حيث البسونا بالظو مثل بالظو المطر وكذلك قبعات ثم توجهنا الى المصعد الكهربائى فدخلناه وهو عبارة عن صندوق أو دولاب ضيق من الحديد وكنا ثمانية أشخاص وما كاد الباب يغلق حتى تصورت أننا قطع عنا كل وسائل الاتصال سواء بالجرس الكهربائى أو التليفون أو غير ذلك مما سبب عندى حالة عصبية أعقبها ضيق تنفس فطلبت فى الحال بشدة وتلف أن يسرعوا بفتح الباب لأتخلص وأخرج من هذا القبر قبل نزول المصعد وقد تم ذلك فأسرعوا باجابة طلبى قبل تحرك المصعد الكهربائى للنزول وذلك رغما عن تطمينهم إياى بما يضمن عدم الجزع تحت سطح الارض فخرجنا ثم ذهبنا لمشاهدة غرفة بها ما يلزم من الاسعافات عند حصول أى حادث خطر وحقيقة انه مما يشهد بحسن النظام ودقة الاحتياط اللازم لحفظ حياة العمال بهذه المناجم ثم رأينا أسطوانة كبيرة الحجم يدور عليها سلك كبير لنزول وصعود المصعد ثم ذهبنا حيث شاهدنا مساكن العبيد العمال وشاهدنا مطبخا كبيرا به اثنان وثلاثين قزانا لطبخ غذاء العبيد الذى هو عبارة عن أذرة مدشوشة

مع بعض من الخضار ورأينا امرأة زنجية خصيصاً لصنع مشروبهم مثل البوظة ويقال أنه من تقاليد العبيد عدم قبولهم البوظة الا اذا صنعت بيد امرأة، ثم مررنا بغرف نومهم ومستشفى لهم وهو على جانب من النظام وحسن الادارة ، ويعرض عمال العبيد على الطبيب بشكل عيادة طبية حتى اذا ما وجد بأحدهم مرض أو جرح مسبب عن العمل يرسله الى المستشفى وذلك لان العبيديهملون الاحتياط اللازم لانفسهم وهذا يضر بهم ضرراً بليغاً ويضعف صحتهم الى حد خطير . ذهبنا بعد ذلك الى منزل مستر والتر مدير الادارة لتناول الشاي بدعوة منه وقد دعانا بعد ذلك المستر ايفنس لتناول الغداء في منزله الساعة واحدة بعد الظهر فذهبنا الى اللوكاندة ومن هناك ذهبنا الى منزل السير صامويل ايفنس في الميعاد المحدد فوجدناه منزلاً كبيراً ذا رونق وبهاء فعرفنا بزوجته ثم أخذنا مقاعدنا بغرفة المكتبة وبعد برهة حضر المستر والتر وزوجته فدخلنا جميعاً الى غرفة الطعام وكان قد أعد لنا ضمن الطعام صنفاً من الارز العجوى وبعد الغداء في الساعة الثانية ونصف رجعنا الى اللوكاندة ثم خرجنا في الساعة الثالثة وربع الى ضواحي المدينة ومن الغريب أن يرى الانسان تلالاً من التراب المستخرج من المناجم ويمكن القول بأن الانسان في مدينة جوهانسبرج يمشى على الذهب لانه تحت أرضها ليس هناك بالضواحي ما يستوجب الاهمية والذكر . يرى الانسان من المرتفعات أن المدينة لا شك كبيرة واسعة . رجعنا الى اللوكاندة في الساعة الخامسة وربع . يوم ١٧ مايو كان الجو ملبدًا

بالغيوم التي حجبت الشمس وقد حضر في الساعة التاسعة صباحاً بعض
الهنود أحدهم رئيس الجمعية الاسلامية بتلك المدينة ومعه ولده الذي
تعلم في المدرسة السلطانية بالاستانة وهو يجيد اللغة التركية وكان معه
رجل اسرايلى عثمانى وفي الساعة التاسعة ونصف حضر خطيب الجامع
وأصله من جاوا وهو يجيد التكلم باللغة العربية ومعه اثنين من تجار الهنود
كبرى السن لابسين عمامة وقد أظهروا جميعاً سرورهم وفرحهم بلقائنا
وعرضوا أن يقدموا سياراتهم لخدمتنا مدة اقامتنا بالمدينة وعرضوا
أن يدعونا للشاي ولكنى اعتذرت عن قبول ذلك وشكرتهم على
جميل احساسهم وبعد انصرفهم نزلنا لتفقد المحلات التجارية والدكاكين
وبعد الظهر توجهنا الى حديقة اسمها جيو بارك من حدائق نزهة
المدينة . في اليوم الثامن عشر صباحاً وهو يوم الاحد كان الجو معتدلاً
وحيث أنه يوم سفرنا من جوهانسبرج الى دربان أمضينا الوقت في
اعداد مهماتنا السفرية وبعد الظهر مررنا لترك بطاقة الزيارة باسمى لمن
أكرمونا بتلك المدينة ولما كان في الوقت متسع قبل قيام القطار طلبنا
من سائق السيارة أن يمر بنا حول ضواحي المدينة فأرانا طريقاً أنشئ
حديثاً صرف عليه عشرة آلاف جنيه وعلى جانبيه ثلاث كبيرة جميلة
لها بساتين ذات زهور مشرحة ثم مررنا وسط غابة عظيمة من الصنوبر
ولولا مشاهدتنا تلك الجهة لظننا أن ليس بهذه المدينة مناظر جميلة
تستحق الاعجاب وفي الساعة الثامنة مساء وصلنا المحطة على استعداد
للسفر وفي الساعة الثامنة والدقيقة خمسة وأربعين تحرك بنا القطار

يوم ٢٩ مايو صباحا كان الجو معتدلا وأدفاً منه بجوها نسبى برج
 والمناظر لم تتغير فأراضى المرعى واسعة ولحلول فصل الشتاء ترى
 الارض صفراء اللون لذبول النبات والشجر أما الجبال والتلول ترى من
 مسافة بعيدة بلون جبل المقطم ، وأول محطة صادفناها تسمى لادى
 سميث وهى مرتفعة عن سطح البحر بثلاثة آلاف ومائتين أربعة
 وثمانين قدماً وعدد سكانها ثمانية آلاف نصفهم من البيض والنصف
 الآخر من الزنوج واسم هذه البلدة أطلق عليها نسبة الى اسم سيدة
 اسبانية كان قد ألقاها من حادثة خطيرة من يدعى السير هارى سميث حاكم
 الكاب ثم أحبها وتزوج بها فصار اسم هذه البلدة تذكراً لحادثة خطر
 فنجاة فحب فزواج . اشتهرت هذه البلدة بالمقاومة العنيفة التى أبدتها
 الترنسفاليون فى حربهم ضد الانجليز . ليس هناك ما يستحق الذكر
 فى طريقنا الى مدينة ماريتزبرج عاصمة النانال وهى على ارتفاع قدره
 الفان ومائتان قدم عن سطح البحر ويبلغ عدد سكانها ثمانية عشر الفا
 وخمس مائة من الجنس الابيض وثلاثة عشر الفا من العبيد وسبعة
 آلاف وثمانمائة من الهنود وهى ذات منظر جميل بين الاشجار ويوصل
 اليها طريق مرتفع ومما يستحق الذكر فيها هى دار المحافظة صرف فى
 انشائها مائة الف جنيه وبها آلة الارغن الموسيقية « Orgue » بلغ تكاليف
 انشائها عشرة آلاف جنيه وهى فى صالة فسيحة تسع الف وأربعمائة
 شخصاً بحالة الجلوس وبها مكتبة نفيسة تحتوى على قسم من الكتب
 الفرنسية وآخر للانجليزية وثالث من الكتب الهولندية ورابع من

الكتب الالمانية . بالمدينة هيا كل عديدة والعمل جار لتسيير قطارات السكة الحديدية بالقوة الكهربائية التى ستكون منبعها من هذه المدينة لمناسبة اجتيازنا الآن بقاعاً تقرب شيئاً فشيئاً من ساحل البحر نرى الارض منبته ومغطاة بالاشجار وهى بالنسبة للبقاع الاخرى اكثر سكانا وعمرانا . قبل وصولنا الى مدينة دوربان مررنا من نحو أربعة سراديب تحت الجبال وهى اول مرة رأينا فيها سرداباً بجنوب أفريقيا ، ثم وصلنا فى الساعة السادسة ونصف مساء بفضل عناية الله الى مدينة دوربان التى لها محطة كبيرة فوجدنا مندوب شركة كوك فى انتظارنا بالمحطة فتوجهنا الى فندق مارين أوتيل وهى أكبر فنادق المدينة

دوربان ، ميناء ذات أهمية كبرى وتعد من المدن العظيمة بجنوب أفريقيا يبلغ تعداد سكانها خمسين الفا من الجنس الابيض وستة وثمانين ألفاً من العبيد وخمسة وعشرين الفا من الهنود . أسست تلك المدينة سنة ١٨٢٤ حيث اطلق عليها اسم دوربان نسبة الى حاكمها السير بنجامان قبل ذلك كان اشترى الهولنديون من قبائل الزنوج سنة ١٦٨٥ تلك الميناء لتكون محطاً لرحلاتهم البحرية ولكن تركوها عندما فقدوا سفناً كثيرة وذلك لعدم ملائمة الميناء . ثم جاءها فى سنة ١٨٢٣ ضابط انجليزى برتبة ملازم وزار الميناء والجهة المجاورة لها ثم طلب من الحاكم الانجليزى أن يضم تلك الميناء الى الممتلكات الانجليزية وكانت حينذاك تابعة لقبائل عبيد الزولو ولهم رئيس عليهم كأمر أو حاكم يدعى شاكا أشهر بالقسوة لما كان يعمل فيه من الاسراف فى

القتل والفتك بهم حتى قتل عددهم وهرب كثير منهم بدافع الخوف والارهاب من حاكمهم الطاغية وقد تم في ذلك الحين اتفاقا بينه وبين الانكليز على أن يدع لهم بمعنى التنازل ثلاثة بلاد وهي دوربان وبلاوف ونقطة أخرى على نهر أمبيلو وفي سنة ١٨٢٨ انتهت أيام ذلك الحاكم الجبار شاكا بأن قتله أخوه دينجان الذي تقلد الحكم بعده وعلى أثر ذلك انضم فريق من أعدائه الى جانب الانكليز فدفع الغيظ هذا الحاكم الجديد الى الانتقام منهم ومحاربتهم والانكليز معا ولكن تغلبت عليه القوة الانجليزية وقهرته تحت قيادة مستر فين الذي استمال اليه كثيراً من العبيد بتلك الجهات حتى اتخذوه رئيسا عليهم ومرجعاً لهم ولما بلغ تقدم البوير في البقاع شمالاً الى أن وصلوا حدود الناتال سنة ١٨٣٥ طلبوا من دينجان أن يعطيهم جزءاً من الاراضى فقبل منهم ذلك وتنازل لهم عن أراض طلب منهم نظيرها بأن يعوضوه بقره ومواشيه الكثيرة التى فقدوها وسلبت منه فأجاب الترنسفاليون طلبه ولما ذهب مندوبو الترنسفاليين لامضاء الشروط المتفق عليها وتسليم البقر فى حوش كبير غدر بهم ذلك الملك وجعل عبيده يقتلون مندوبى الصلح البالغ عددهم مائة شخص ولم يفلت بحياته من القتل الا واحداً أسرع بإبلاغ الخبر المشؤوم الى الترنسفاليين وقد أعجب الملك الجهول بتلك المذبحة الدنيئة وسر بما عمله عبيده وأصدر لهم أمراً بأن يقتلوا كل من صادفوه من الجنس الابيض فقتلوا نحو ستمائة بين رجال ونساء وأطفال وقد أطلق على هذه البقعة بعد ذلك اسم وينان ومعناه باللغة الهولندية دموع

البكاء وذلك اشارة الى الحزن على من قتل من جنسهم
 قام بعد ذلك الحادث المريع قسم صغير من البوير واتفق مع القوة
 الانجليزية المجاورة على الانتقام من هذه القبائل ولكن لما لم تكن قوتهم
 كافية لتنفيذ غرضهم ولما شعروا بقرب انهزامهم عمدوا الى
 الهروب العاجل طلبا للنجاة وفي سنة ١٨٣٨ قام اربعمائة من البوير
 « الترنسفالين » تحت قيادة المسمى أندريان يتورياس وفاجأهم بهجوم
 شديد ابتغاء القضاء على الملك دينجان حاكم العبيد الذي كان تحت
 قيادته أحد عشر ألف نفسا فقتل من العبيد ثلاثة آلاف وأسر منهم
 سبعة آلاف أسير وقد جعل هذا اليوم عيداً يحتفل به كل سنة في
 ماريتزبورج اذ تقام أيضا الصلاة بالكنيسة التي بنيت لهذا السبب
 وبعد هذه الضربة القوية انقسم عبيد الزولو الى قسمين قسم مع دينجان
 السابق الذكر وقسم مع أخيه الصغير الذي طلب من الانجليز والبوير
 امداداً له ليستعين به على أخيه فأرسلوا اليه اربعمائة مقاتل تحت قيادة
 بريتورياس وكان مع أخ دينجان الصغير خمسة آلاف مقاتل فهجموا
 جميعاً على دينجان وكان ذلك في سنة ١٨٤٠ ففازوا بقتله الذي انتهت به
 مشاكله وأخذت كل أراضيه وأيضاً نحو ستة وثلاثين الفا من البقر
 وقام البوير ووضعوا على الاراضي المحتلة علمهم وأطلقوا عليها اسم
 جمهورية الناتال ولكن الانجليز لم يعترفوا بهذا العمل وأرسلوا مائتين
 من الجنود الانجليزية لتقوية المعسكر بدوربان ثم حصل خلاف بين
 الفريقين تخلله بعض مشا كل انتهت في سنة ١٨٤٣ بأن صارت الناتال

مستعمرة انجليزية وانسحب الترنسفاليون الذين أبوا أن يبقوا تبع
السلطة الانجليزية ولذلك ترى أغلب بلاد الناتال يسكنها انجليز أكثر
من البوير وفي سنة ١٨٧٩ قام عبيد الزولو مرة أخرى بحاربون
الانكليز وفي هذه الواقعة قتل ابن نابليون الثالث وهو البرنس
الامبراطورى وكان ضابطا برتبة ملازم بالجيش الانجليزى

وفي سنة ١٩١٠ انضمت الناتال الى حكومة اتحاد جنوب افريقيا
فى يوم ٢٠ مايو كان الهواء يعصف بشدة واستمر المطر أيضا
لغاية الساعة العاشرة ونصف ولما هدا الجو خرجنا للمشى قليلا ثم عدنا
وقت الظهر الى اللوكاندة وبعد الغداء ركبنا سيارة ومررنا بداخل
المدينة لمشاهدة المباني الكبيرة والجمرك والميناء فالضواحي
اللوكاندة واقعة على خليج كبير به رصيف صرف على انشائه
مبلغ ستين ألفا من الجنيهات وعلى نهاية الرصيف توجد فسقية بوسطها
تمثال البحار البرتغالى المشهور ويدعى فاسكودى غاما وهو أول من
اكتشف منطقة الكاب والهند عن طريق رأس عشم الخير

المد والجزر فى هذا الخليج بنسبة كبيرة حتى أنه فى وقت الجزر
ترى الخليج قد غابت مياهه وظهرت أرضا مليئة تمشى عليها الناس والزوارق
راسية على الرمال ومدة الجزر ست ساعات يرى فيها الخليج جافا غير
صالح للملاحة ولكنهم احتفروا قناة لتساعد على مرور السفن وقت الجزر
الشوارع بتلك المدينة واسعة كما هى فى غيرها من مدن افريقيا
الجنوبية . ذهبنا فى سيارتنا الى شاطئ البحر حيث توجد حمامات البحر

وفنادق كبيرة ثم مررنا بحدائق عديدة وبمسكن العمال والطبقات الصغيرة ثم توجهنا الى بقعة مرتفعة يسكنها الاغنياء بها منازل ذات رونق وبهاء تحوطها بساتين جميلة وحدائق مزدهرة يانعة ويزيد هذه البقعة جمالا أنها تطل على البحر وبذا توفرت فيها دواعى الانشراح . عند مغادرتنا تلك الجهة مررنا بالفاوريقات المختلفة وهى واقعة بقرب النهر فى طرف المدينة

لاحظنا وجود أفراد من الزنوج فى وظائف البوليس النظامى علاوة على ذلك الموجود من نفس الجنس الابيض . يوجد بالمدينة عربات صغيرة للركوب تسمى ريكشور يجر الواحدة منها زنجى بمفرده وأغلب المحترفين بهذه المهنة عبيد الزولو وهم أقوياء البنية ممتلئو الجسم معتدلو القامة ومما يستلفت نظر الأجنبى اليهم أنهم فى ذى غريب مضحك اذ من عادتهم ان يضعوا على رؤوسهم قرون الحيوانات وريش الطيور بالوان مختلفة وعلى ظهورهم جلود الحيوانات وأغلبهم يلونون سيقانهم من الركبة الى القدم بالبوية البيضاء على شكل الجوارب ثم عدنا الى اللوكاندة فى الساعة الخامسة ونصف مساء

يوم ٢٨ مايو كان الجو معتدلا والشمس ساطعة وفى الساعة التاسعة ونصف ذهبنا بالسيارة الى حديقة النباتات فوجدت بها مجموعة من النباتات المختلفة ذات قيمة تذكر ولكنها لم تصل الى حد ما سمعت عنها قبلا . من هناك توجهنا لمشاهدة استحكام قديم « طابية » ثم عدنا الى الفندق الساعة الثانية عشر ونصف وبعد الظهر ركبنا السيارة بقصد

التنزه فررنا على كوبرى كبير فوق نهر الاونجنى الذى لو لم يكن عليه هذا الكوبرى الكبير لظن الانسان أنه ترعة صغيرة والواقع أن مياهه فى وقت الفيضان تعلو بنسبة عظيمة حتى أنه أغرق بفيضانه ذات مرة اربعمائة من الهنود اكتسحهم من قرب مساكنهم . ثم صعدنا الى مرتفع وسط الاشجار لتناول الشاى فى قهوة صغيرة هناك وكنا قد علمنا بوجود نسائيس بتلك الغابة فأشاروا علينا بأن نشترى بعضاً من الفاكهة لنعطيا للنسائيس على سبيل التسلية فجاء خادم هندي من القهوة ومعه كمية من الموز وصار ينادى النسائيس كما ينادى بعضهم الدجاج فرأينا نحو عشرين من هذه النسائيس اقبلت حولنا لآخذ الفاكهة التى نعطيها لها وقد تعودت على ذلك فلا تهرب من الانسان حتى أنها تقرب لآخذ الفاكهة من أيدينا دون خوف ومما يضحك أن عدداً منها انتهز وجود سيارة واقفة بجوارها ولم يكن عليها أحد فانتهاز النسائيس فرصة خلوها وفى لحظة واحدة التفوا حولها ثم قفزوا عليها وأخذ كل واحد مقعداً له فكان بمضها على السلم وعلى الزجاج وفوق الموتور وداخل السيارة وبالاختصار احتلوها احتلالاً وقتياً لآخذ نصيب من التسلية واللعب كما هو معروف عن هذا الجنس

أثناء عودتنا استلقت السائق نظراً الى منازل عظيمة أخبرنا أنها لبعض الاغنياء من الهنود ويوجد منهم أيضاً كثيرون يحترفون بحرف صغيرة مثل زراعة الفاكهة والخضار وبيعها وتسكاد تكون هذه الحرفة خاصة بهم ثم وصلنا الى الفندق الساعة الخامسة ونصف

في صبيحة يوم ٢٢ مايو كان الجو معتدلاً لطيفاً فذهبنا لزيارة دار الآثار التي في دار المحافظة حيث يوجد ايضاً دار كتب واخرى للصور والرسومات وفي الساعة الثانية بعد الظهر ركبنا السيارة قصد الرياضة والتنزه على تلال بعيدة عن المدينة فررنا باطراف المدينة على قسم يسكنه الهنود وقد لاحظنا انهم حقيقة يشتغلون بزراعة اشجار الفاكهة والخضار وكنا نرى المدارس الهندية في كل قرية نمر بها وقد ألفت السائق نظرننا الى منزل من الطوب الاحمر وأخبرنا ان صاحبه شيد بناءه بمفرده في مدة تسع سنوات ولم يشترك معه في بنائه احد ثم مررنا ببنت صغير يقال أن صاحبته امرأة عجوز بلغت من العمر مائة وتسع سنين حضرت الى دوربان منذ مائة سنة أي من يوم انشاء المدينة

كنا في سيرنا ننزل في واد ثم نعلو الى مرتفعات وتلال وكذلك الى أن وصلنا الى تل يسمى تل بوثا حيث أوقفنا السيارة لنمشي قليلاً على اقدامنا فرأينا منطقة جبلية ذات تلال متجانبية وتسمى « بالتلال الالف أو الالف تل » وكذلك باقي جهات الناتال كثيرة التلول والوديان بلغنا في سيرنا الى نقطة ترتفع عن سطح البحر بمقدار ٢٦٠٠ قدم وبعد أن رأينا من عاليها تلك المناظر الطبيعية الجميلة رجعنا الى المدينة واثناء عودتنا مررنا بشاطئ البحر حيث كان وقت الغروب فكنا نرى البحر والسماء والرصيف المبلل بمياه البحر كل ذلك كنا نراه وردى اللون مما يستوقف الأنظار

يوم ٢٣ مايو كان الجو دافئاً فنزلنا في الصباح للمشي قليلاً على
الاقدام فذهبنا الى محل كوك لنطمئن عن تمام الاستعداد للسفر في
الغد وبعد الظهر في الساعة الثالثة ذهبنا تجاه دار المحافظة واخترنا
عربتين من الريكشور التي يجر الواحدة منها رجل من الزوج فركبنا
الى شاطئ البحر حيث توجد الحمامات واستخرجنا صورتنا الفوتوغرافية
ونحن على عربات الريكشور وبعد زهاء الساعة ونصف قفلنا راجعين
الى الفندق

في الساعة العاشرة والنصف صباحاً من يوم ٢٤ مايو ذهبنا الى
المحطة سيرا على الاقدام اذ كان لدينا متسع من الوقت ثم قام القطار
في الساعة الحادية عشر والدقيقة عشرين وقد وجدنا بالصدفة ان خدم
القطار هم الذين كانوا معنا أثناء سفرنا الى دوربان حيث أن الطريق لغاية
باتيلهايم هو عين طريقنا أثناء سفرنا من جوهانسبرج وهناك تتفرع
الطريق الى الجنوب بجهة بلومفونتين عاصمة بلاد الورايج والاراضي
بتلك الجهات مسطحة والتلول قليلة جداً وليس بها أشجار لعدم وجود
الامطار بقدر الكفاية ولذلك يمتد البصر الى مسافات بعيدة ويفهم من
قلة المساكن والقرى بتلك الجهة انها قليلة السكان

أثناء سيرنا مررنا بضبعة للحكومة تسمى نيوبارى استيتس قد
وضعت الحكومة بها عدداً كبيراً من أنواع الغزلان بحالة طبيعية
وذلك للمحافظة على بقاء التناج . ثم مررنا بمحطة تسمى وستمنستر
ولما عجبنا لهذا الاسم أفهمنا بعضهم انها سميت كذلك لوجود ضبعة

« تفتيش » واسعة للدوق أوف وستمنستر يستعملها لتربية البقر والغنم .
 وفي الساعة الثانية الاربع مساء وصلنا الى بلوم فونتين وهي ترتفع عن
 سطح البحر بمقدار ٤٥١٨ قدما وهي مع كونها عاصمة الاورانج تجدها
 بلدة صغيرة بها من السكان ١٧٨٠٠ من الجنس الابيض و ١٩٢٠٠
 من الزنوج وليس لها أهمية تاريخية وقد نزع اليها بعض من البوير
 والهولانديين الذين قدموا من جهات الكاب سنة ١٨٥٢ وبعد ذلك في
 سنة ١٨٨٠ ابتدأت البلدة في الاتساع فشكوا لها مجلسا بلديا وجعلوها عاصمة
 الاورانج وليزيدوها أهمية بين المدن الكبرى اعتبروها مركزا لحكمة
 الاستئناف العليا لجميع بلاد جنوب أفريقيا ولم يحصل بها خسائر اثناء
 الحرب الترنسفالية لان مدافعتها كانت طفيفة ضد الجيش الانكايزي
 وسقطت في مدة وجيزة

بعد هذه المحطة سار القطار في طريق مستقيم وسط صحراء
 مغطاة بالاعشاب وبها كثير من الحيوانات ولكن المياه بتلك البقاع
 قليلة جدا لدرجة شاقة ويظهر أن تجارة الاصواف من الحيوانات
 والاعنام رائجة في تلك الجهات وفي الساعة الخامسة والدقيقة عشرين
 مساء وصلنا الى مدينة كيمبرلي حيث كان بالمحطة في انتظارنا نفر من
 أوتيل سافواي

تلك المدينة تابعة في ادارتها لحكومة الكاب وهي على ارتفاع
 ٤٠١٢ قدما عن سطح البحر ويبلغ عدد سكانها ١٨٢٢٥ من الجنس
 الابيض و ٢١٠٩٥ من العبيد وقد انشئت في سنة ١٨٧٠ لمناسبة اكتشاف

الماس بأراضيها فأما كثير من السكان وأخذت في الاتساع وفي سنة ١٨٩٥ اتصلت بها السكة الحديدية من الكاب

ابتداءً تاريخ وجود الماس هناك بواسطة رجل يسمى أوريللى حيث وصلته قطعة ماس حجمها ٢١ قيراط وربيع من رجل هولاندى يجهل قيمتها فاشتراها آخر يدعى السير ودهاوس من أوريللى بمبلغ خمسمائة جنيه وقد أعطى أوريللى نصف هذه القيمة طوعاً من نفسه الى الرجل الهولاندى بدافع شرف الذمة والضمير ولما علم الهولاندى بالقيمة العظيمة لذلك الجوهر النفيس اشترى من أحد العبيد من قبيلة هتنتوت قطعة ماس تبلغ ثلاثة وثمانين قيراطاً ونصف بمبلغ أربعمائة جنيه ثم باعها بمبلغ أحد عشر ألف ومائتين من الجنيهات وهى قطعة شهيرة معروفة اليوم باسم نجمة افريقيا الجنوبية وهى الآن فى حوزة الكونتيس دادلى وتقدر قيمتها الآن بخمسة وعشرين ألف من الجنيهات ولما ظهر الماس بكثرة بهذه الاراضى اختلفت حكومتا الكاب والاورانج الحرة فى أحقية الملكية لهذه الاراضى لأنها واقعة على الحدود وكان ذلك فى سنة ١٧٧٨ وأخيراً تم الاتفاق بينهما على أن تكون ملكاً لحكومة الكاب التى تعطى لحكومة الاورانج تسعين ألف جنيه نظير تنازلها نهائياً عنها وفى سنتى ١٨٨٢ و ١٨٨٣ وضع قانون مشدد بخصوص الماس لحصر ما يكتشف منه فأخذت شركة دى بيرس امتياز المناجم فى هذه الجهة ثم أخذت أخيراً امتياز الماس بأراضى مستعمرة غرب افريقيا الالمانية بعد انتهاء الحرب الكبرى

يوجد هذا الجوهر بالاراضى الزرقاء اللون ويوجد هناك بالمناجم
خمس فتحات يجرى العمل فى ثلاث منهم واثنين موقوف العمل فيها الآن
وقد نزلوا الى نحو ١٣٠٠ قدم تحت سطح الارض وذلك بمساعدة
الآلات الميكانيكية بينما كانوا قديماً يبحثون عن الماس على
سطح الارض

يوجد حول منطقة اراضى المنجم اسلاك حديدية شائكة لمنع
المرور بتلك الاراضى

فى صبيحة يوم ٢٥ مايو كان الطقس بارداً ولكن الشمس
كانت مدققة وفى الساعة العاشرة صباحا جاء احد رؤساء شركة
الماس الى الاوتيل ليصحبنا فى مشاهدة كيفية استخراج الماس فررنا
من بوابة بعد ان ابرز لحارسها ورقة اذن بالمرور وقد رأينا أولاً
الحجارة المستخرجة من بطن الارض تلقى بين آلات لتكسيرها اذ
تجعلها قطعاً بحجم اربع بوصات وبعد غسلها بماء يصب عليها ترسل فى
عربات بشكل الصناديق الى آلات أخرى لتكسير تلك القطع بواسطة
الضغط فقط حتى تصير قطعاً صغيرة وهذا الجهاز من الآلات مصنوع
بحساب يسمح لقطع الماس بالمرور دون تلف ثم تنقل تلك الاتربة
والحجارة الصغيرة ممزوجة بالماء الى آلات اخرى حيث هناك يمر
التراب والحصى ويبقى الماس فيلتقطوه ثم يجمع التراب والحصى ثانياً
وينقل الى جهة أخرى بها جهاز يختلف عن الاول وتلك العربات التى
تنقل الاتربة الى الفرز مقفولة بفتحاح ويجرها وابور بخارى ويشغل

ضمن العمال مسجونون من العبيد وكل الآلات مدارة بقوة الكهرباء
ركبنا السيارة بعد مشاهدة هذا الجزء وقصدنا آخر قسم في المناجم
وهو الذى يستخرجون فيه قصوص الماس حيث يميزوها بما لهم من
المعرفة والتجربة من باقى المعادن والاحجار العديمة القيمة وعند وصولنا
الى هذا القسم استقبلنا رئيس ادارته الذى تعارفنا به ثم أرانا كيف
تصل العربات الحديدية المقفلة الى أن تفتح فيفرغ ما بها فى ماسورة
كبيرة بها قوة ضاغطة من المياه لرفع الحصى المزوج بالماء الى أعلا ثم
الى ماكينات ينحدر منها الى غربال هزاز غير مثقوب ومدهون
بالشحيم يهتز بنسبة معتدلة فينحدر الماء بالتراب والحصى ويبقى الماس
لثقله ملتصقا بالشحيم وهكذا توجد غراييل أخرى مختلفة للماس
الصغير الحجم والكبير منه

قد علمنا أن الشركة تفضل الماس الصغير الحجم لرواجه فى
الاسواق ولاقبال التجار عليه لكثرة طلبه واستعماله حتى أنهم يسمونه
« خبز مدهون بزبدة » وأما القطع الكبيرة بما أنها غالية الثمن ولا
تستعمل الا للزينة فقط عند أهل اليسار والبذخ فقليل طلبها وذلك
بعكس القطع الصغيرة التى تطلب بكثرة لأنها تستعمل أيضا فى بعض
الصناعات وكثير من الحرف قطع مثل الزجاج وقطع الاحجار وتسوية
القطع الكبيرة من الماس وغير ذلك . ثم دخلنا غرفة بها رجال
فنيون أو اختصاصيون لفرز الماس حسب نوعه وقيمته ولقد بلغ بنا
الاعجاب مبلغا عظيما لرؤية هذا العمل الذى يدهش العقول لما وصل

اليه تفنن الانسان في الاختراع والاتقان حتى جعل هذه الآلات
الكثيرة سائرة بنظام دقيق وبترتيب مضبوط لتخرج ما صنعت
لاجله بتمام الدقة والسهولة . ذهبنا بعد ذلك لرؤية مساكن العمال من
العبيد الذين يبلغ عددهم نحو أربعة آلاف خلاف المسجونين وهذا
العدد من العمال له مساكن داخل حوش كبير مربع في وسطه غرف
للنوم وبجانبها مطبخ كبير ومحل لبيع ما يحتاجون اليه من الخارج
فيمكنثون أربعة أشهر هي مدة الشغل لمن رغب ذلك ويبيتون في
هذه المساكن لانه غير مصرح لهم بالخروج أو الاختلاط بأحد من
الخارج وفي نهاية تلك المدة يؤتى بمن جاء دوره للخروج فيكشف عليه
الطبيب كشفا دقيقا ثم يعطى مسهلا ويحجز في غرفة على انفراد تحت
المراقبة مدة سبعة أيام حتى يتأكدوا من عدم اخفائه قطعا من
الماس في بطنه أو تحت جلده لانهم وجدوا بعضا من العبيد يقطعون
جلد جسمهم ويضعون تحته الماس ثم يخيطون الجلد ثانياً

علمنا أن الشركة محتكرة من الارض ما يبلغ مساحته ١٥٠ ميل
مربع حول المدينة وكل قطعة ماس يجدها أى انسان في هذه المنطقة
تعتبر تابعة للشركة والقانون يحتم اليه ايصالها الى الشركة أو لمركز
البوليس فان لم يفعل ذلك أو يخفى ما وجده يعاقب عقاباً شديداً وأيضا
كل من يشتري قطعة ماس من هذا القبيل يسجن سبعة عشر سنة ولرؤساء
الشركة شأن عظيم في تلك المدينة وسلطة واسعة اذ يوجد تحت أمرهم
بوليس سرى لهذا الغرض

قد ختمنا زيارتنا للمناجم برؤية أول فتحة وجدت وهي كبيرة وعميقة .

كانت طريقة الحصول على الماس قديماً بواسطة عمال يحفرون في الارض بمعاولهم وفؤوسهم ليعثروا على هذا الجوهر ولما بلغ الحفر الى عمق ثلاثمائة قدم عن سطح الارض كانت تتساقط الاحجار والأتربة على الاشخاص اثناء عملهم فتحدث لهم اصابات خطيرة قد تؤدي الى موت بعضهم ولم يكن وقتئذ للآلات الحديثة التي تسهل العمل وتوجب الاطمئنان وجود فأوقفوا العمل في هذه البقعة اجتناباً للخطر واشترت الشركة تلك الاراضى لتستأنف فيها العمل بقوة الاختراعات الحديثة فيما بعد .

بعد مشاهدة ما تقدم مررنا بجهة يبنون فيها بيوتاً جديدة للعمال الافرنج وقد رأينا هناك حديقة كبيرة يبيعون منها أنواع الفاكهة وبها أيضاً كرم من العنب على تكعيبية واحدة مستقيمة يبلغ طولها ميلاً أو أكثر وفي الساعة اثني عشر ونصف ظهراً عدنا الى الفندق .

في الساعة الثالثة والرابع مساءً توجهنا الى مكتب ادارة الشركة وصعدنا الى الدور الاول فاستقبلنا أحد الموظفين ليدلنا على مشاهدة ما هنالك فألفت نظرنا الى صور فوتوغرافية للمناجم منذ حالتها القديمة في بادئ الامر وكذا الاكواخ الحقيبة التي كان يسكنها العمال من الأهالي الذين يفدون من ديارهم البعيدة للبحث عن الماس نظير قيمة من النقود عن كل قطعة يجدونها من الماس وكان من سوء حظ بعضهم

أن يمكثوا أعواما عديدة يكابدون فيها عناء العمل وبؤس العيش دون أن يعثروا على قطعة من الماس ليأخذوا من الشركة أجرهم اذ لا أجر لاي عامل الا اذا وجد ماساً وبذلك كان بعض هؤلاء الفقراء يعودون بخيبة الامل وبعضهم كان يموت فريسة الفقر والجوع والشقاء

بعد رؤية تلك الصور وغيرها رافقنا هذا الموظف الى باب موصل عليه زرار جرس كهربائي وبدقه فتحت طاقة صغيرة بالباب أطل علينا منها شخص ليتبين القادمين ثم فتح الباب فدخلنا الى غرفة واسعة استقبلنا بها موظف آخر دلنا على ما بالغرفة وفسر لنا كيفية فرز الماس بحسب قيمته وكان أمامه في تلك اللحظة كمية تساوى مائة وأربعين الف جنيهها أعدت لارسالها الى انجلترا

عند ما يكثر طلب الماس يرسلون كل خمسة عشر يوما رسالة واحدة محدودة القيمة وقد أخبرنا أنهم باعوا في السنة الماضية من جوهر الماس ما قيمته أربعة ملايين من الجنيهات وقد أخبرنا أن الاسهم في تلك الشركة اعطت من الربح جنيها عن كل سهم قيمته أحد عشر جنيها ثم أرانا الالوان المختلفة في الماس وقال لنا أن اللون النادر الثمين القيمة هو الماس الذى يشبه لون الكهرمان القائم اللون وقد أفهمنا أيضاً عيوب الماس التى تحط من قيمته ثم انصرفنا من هناك ومررنا فى وسط المدينة بمستشفى ثم بتمثال سسل رود على جواده ثم ذهبنا الى جهة تسمى الكسندر فونتين وقد رأينا فى طريقنا هيكلا عظيما يمثل الجنود الانكليزية الذين قتلوا فى حرب البوير سنة ١٨٩٠ وأمام الهيكل مدفع

كبير صنعه شخص من مدينة كبرلى وقدمه هدية للجيش المحارب
(الانكليزى)

الكسندر فونتين تبعد ستة أميال ونصف جنوباً من كبرلى
وهى الجهة الوحيدة التى يقصدها الأهالى للفسحة والرياضة أيام الصيف
وقد بنت هناك شركة الماس فندقاً عظيماً وسط بستان جميل حوله
أشجار كبيرة بشكل غابة بديعة . بعد مشاهدة ذلك رجعنا الى المدينة
فمررنا بتمثال الملكة فكتوريا وتوجهنا لمشاهدة دار الآثار الصغيرة
لتلك المدينة ثم وصلنا الى الفندق

فى يوم ٢٤ مايو صباحاً أعدنا عدة السفر وأخذنا القطار فى الساعة
العاشرة والنصف صباحاً وجهة مدينة الكاب وكان الطريق فى أوله
يمر من صحراء جرداء أرضها رملية لا يوجد عليها المطر الا قليلاً فلم نر
بها سوى بعض غزلان وقليلاً من الطير

ان من يرى تلك القفار الواسعة المجذبة يمكنه أن يقدر الصعوبات
والعقبات الطبيعية التى اعترضت الجيوش الانكليزية وما كابدوه من
المشاق أثناء حرب الترنسفال قبل انشاء السكة الحديدية واختراع
الأتوموبيلات بأنواعها والطيارات التى بفضلها سهل السير والسفر وضمن
الاتصال بين أقطار الدنيا

مررنا بالقطار على كوبريين كبيرين على نهرين لم يكن بهما شئ
يذكر من الماء أحدهما نهر مودير الذى وقعت بجانبه حروب كثيرة
والآخر نهر الاورانج الذى سميت ولايات الاورانج باسمه ثم وصلنا

فى الليل الى بلد تسمى آر تتفرع منها سكة حديدية الى مستعمرة غرب
أفريقيا التى كانت تابعة للامان قبل الحرب العالمية الكبرى

يوم ٢٥ مايو صباحا كان الجو بارداً واختلفت المناظر عن أمس
وكذا الأراضى أهلة بالسكان مغطاة بكثير من أشجار الفاكهة مما يدل
على اهتمام الناس بالثروة الزراعية. ثم مررنا بمحطة تولباخ وهى مشهورة
بزراعة العنب والنباتات وبكثرة الزهور الجبلية حتى أنه يقام بها فى
كل عام معرض توجد فيه أنواع جمّة من الزهور

باقترابنا من مدينة الكاب رأينا كثيراً من شجر الصنوبر وقد
وصلنا الكاب فى الساعة الحادية عشر ونصف صباحاً حيث كان فى
انتظارنا بالمحطة مدير مكتب شركة كوك ومندوبو الفندق فركبنا
السيارة وذهبنا الى فندق مونت نيلسون وهو من أكبر فنادق
جنوب أفريقيا

نزلنا فى الساعة الثالثة بعد الظهر لتتفقد المدينة سيراً على الاقدام
فررنا من طريق بجانبه على امتداده أشجار عالية يوصل الى الشارع
الكبير المسمى أدلى استريت فشاهدنا مابه من الحوانيت ومحال التجارة
ثم دخلنا الى المحطة (محطة السكة الحديدية) التى بها مثل بعض محطات
بلاد المانيا والنمسا اذ يوجد بأفنيها دكاكين صغيرة فيها بضائع وهى
تعلن عن الدكاكين الكبيرة التى بالمدينة وأثناء عودتنا مررنا بمحديقة
النزهة العمومية فوصلنا الفندق فى الساعة الخامسة مساء

يبلغ تعداد مدينة الكاب مائة واثنى عشر ألفاً من البيض أى

الأوروبي الاصل وثلاث وتسعين ألفاً وثمانمائة من العبيد والشرقيين وقد ضموا الى المدينة في سنة ١٩١٣ كثيراً من الضواحي التي حولها حتى صارت مساحة المدينة تسعة وخمسين ميلاً مربعاً وهي العاصمة الثانية والعاصمة البرلمانية لحكومات جنوب أفريقيا المتحدة كما أنها أكبر مدينة للعلوم هناك

أول من اكتشف الكاب هم البرتغاليون ولكنهم تركوها بعد أن تشاءموا بقتل حاكم مستعمراتهم الهندية الذي قتل مع بعض رجاله أثناء مروره بها وفي سنة ١٦٥١ أرادت شركة الهند الهولندية أن تجعل تلك الميناء قاعدة بحرية للمواصلات في طريقها الى الهند وقد وافقت حكومة هولندا على ذلك المشروع فأصدرت أمراً الى أحد رجالها المسمى فان رى بيك بالسفر الى الكاب لتحقيق المشروع وزودته بثلاث سفن فوصلها في مائة وأربعة يوماً وهي المدة التي كان يستغرقها السفر عادة الى تلك الناحية فترك بها مائة من رجاله الهولنديين وعاد هو الى هولندا التي علمت حكومتها منه أهمية تلك الجهة فأرسلته ثانياً ليكون حاكماً عليها وليجعلها مستعمرة هولندية وعند وصوله الى الكاب في المرة الثانية بدأ عمله بإنشاء استحكام منيع للمدافعة براً وبحراً ونصح من معه بالاهتمام بأمر الزراعة لايجاد البقول والخضر والمأكولات وبالاكثار من تربية المواشى النافعة ولما كانت الوحوش منتشرة بكثرة في الجبال حول تلك الجهة عمل على مطاردتها لئلا يأت من الناس في أعمالهم ومزارعهم فجعل مكافأة قدرها خمسة وعشرين شلناً لكل عبيد يصيد سبعاً واثني

عشر شلناً لمن يصيد نمرأً وعشرة شلنات لمن يصيد ضبعاً وكانت هذه القيمة من المكافأة تعد كثيرة جداً في ذلك الحين خصوصاً اذا علم للجيل الحاضر أن فان ريبك الشهير بصفته حاكماً كان يتقاضى من حكومته سبع جنيهات وعشرة شلنات مرتباً شهرياً عن خدمته الجليلة وبذلك تحسن الحال وعم الامان شيئاً فشيئاً واطمأن الناس في عملهم ثم استحضر المنب من بلاد المانيا وزرعوه بتلك الجهات وكان لهم من أخشاب الاشجار تجارة رابحة ثم شيد مستشفى كبيراً لمعالجة البحارة الذين يذهبون الى الهند ويعودون منها وكان قد شرع هذا الحاكم الشهير في استحضار المسجونين الصينيين وغيرهم من المستعمرات الهولندية بجاوه والهند لاستخدامهم في تشييد الابنية وغيرها الا أنه لم ينجح في ذلك لاسباب عديدة . وفي سنة ١٦٤٩ ميلادية غرقت بحجة الكاب سفينة كان عليها ٣٥ عائلة فرنسية من البروتستانت الذين فروا الى بلاد الهند للنجاة من المذابح الدينية التي كانت مشتعلة في فرنسا بين الكاثوليك والبروتستانت فأخذ من نجا من هؤلاء الناس وقبلهم ليتوطنوا بلاد الكاب وبذلك كثر لديه العاملون من الجنس الابيض وفي سنة ١٦٦٢ نقل فان ريبك حاكماً لجاوه بدلاً من الكاب التي جاءها حاكم يسمى جان أوفرييك بعد ثلاث سنوات وقد رأى هذا الحاكم الجديد ضرورة امتلاك شبه الجزيرة الواقعة بجوار الكاب وكان يسكنها قبائل زنوج الهوتنتوت فاتفق معهم على شرائها منهم بقيمة الف وستمائة

جنيهاً ولكنه لم يعطهم سوى قيمة تسع جنيهاً واثنى عشر شلناً وتم له امتلاك تلك البقعة

في سنة ١٦٧٢ ظهرت سطوة فرنسا وقوتها في عصر ملكها لويس الرابع عشر الذي أرسل اسطولا لفتح والاستعمار ببلاد الهند وقد أزعج ذلك الهولنديين وجعلهم في خوف من الاعتداء على مستعمراتهم فأرسلوا الى الكاب حاكماً عاماً اسمه چوسكى فوضوا اليه أمر الدفاع والمحافظة عن مستعمراتهم وجعلوا له مرتباً قدره خمسة وعشرين جنيهاً وكان يوجد بجهة الكاب في ذلك الحين ستمائة من الاوروبيين

جاء بعد ذلك حاكم آخر يسمى فاندراشتيل وفي عهده أخذت مدينة الكاب في الاتساع فأنشأ القسم المسمى اشتلن بوش وخط طرقاً وأنشأ حدائق ومزارع كثيرة وغير ذلك من وسائل العمران حتى بلغت شهرتها أوروبا وقد شجع الزراعة التي أتت بمحصول عظيم فاض عن حاجة الأهالي وكان منه تجارة نافعة . وفي سنة ١٦٨٥ جاء للكاب نحو ثلاثمائة من المهاجرين الفرنسيين وبين سنة ١٦٨٩ و سنة ١٦٩٤ كثر عدد الاهالي فوسعوا المستشفى لأن أغلب البحارة في طريقهم من الهند كانوا يصابون بالامراض حتى أنه وجدت بعض سفن لم يكن عليها فرد على قيد الحياة ، وقد استحضروا أيضاً من أوروبا أنواع الثيران والغنم لتكثير المواشي واستحضروا دود القز لعمل الحرير في سنة ١٧١٣ انتشر وباء الجدري فمات من البيض نحو خمس وعشرين في المائة من تعدادهم ولكن لحسن حظهم أن اكتسح هذا

الوباء الوفا من العبيد والزنج نخلت الاراضى المجاورة للكاب واستغلها
الاوروبيون لانتاجها والاستفادة منها

استمرت عظمة هولاندا الاستعمارية ومجدها على البحار لغاية
سنة ١٧٢٥ حيث بدأ منذ هذا التاريخ مزاحمة الانجليز والفرنسيين لهم
بالتجارة فى بلاد الهند وباستعمار بعض البلاد فقل حظ الهولانديين وأخذ
مجدهم فى الانحلال وتضاءلت شوكتهم وساءت ادارتهم وانحلت منهم صفات
الجد والهمة فأعقب ذلك افلاس شركة الهند الشرقية الهولاندية تلك
الشركة العظيمة فى سنة ١٧٨٠ بسبب غرق ١٩ سفينة تجارية وثمانمائة
رجل وكمية كبيرة من الذخيرة تقدر بنصف مليون من الجنيهات وكان
فى ذلك الحين يوجد بالكاب حاكم أفسد الحكم بالرشوة وأساء التدبير
فى ادارته فضايق صدر الاهالى من تلك الحالة سواء كانوا أوروبيين
أو عبيداً وقد انتهزت انجلترا من تلك الفوضى فرصة لتحقيق مطامعها
فأعلنت حرباً على هولاندا وأرسلت أسطولاً بحرياً وثلاثة آلاف من
الجنود للاستيلاء على الكاب ولكن ردت تلك الغارة وأرغمت على
العدول لأنها اصطدمت بقوة حرية بحرية فرنساوية تحت قيادة
الاميرال سوفرين الذى كان سبق بالاستيلاء على الكاب وترك بها
قوة عسكرية لحمايتها وبقي الفرنسيون بها مدة سنتين الى أن ظهرت
عمارة بحرية انجليزية فجأة فى سنة ١٧٩٥ أمام الكاب واستولت عليها
عنوة وزاد الانجليز من عمرائها وأسسوا شركات وصرفوا نحو مليون
جنيهاً لتحسين جهات الكاب وأوقفوا تجارة الرقيق ليحبيبوا اليهم

الاهالى ولكن فى سنة ١٨٠٢ فى معاهدة اميان عقب انتصار فرنسا على انجلترا اشترطت الاولى على الثانية بتسليم الكاب لهولاندا حليفة فرنسا فى ذلك الحين وبعد ذلك عادت انجلترا فى سنة ١٨٠٦ معلنة حربها على هولاندا وارسلت قوة عسكرية واسطولا بحريا واحتلت الكاب ثانياً وقد انهزم امامهم الهولنديون البالغ عددهم خمسة آلاف ومن ذاك الحين صارت الكاب انجليزية

نظرت انجلترا فى توسيع تلك المستعمرة فاشترت فى سنة ١٨١٥ ثلاث بلاد من العبيد وهى ييرياس وديجارا واسكيبو بمبلغ قيمته ستة ملايين من الجنيهات وكان يبلغ عدد سكان اهالى الكاب فى ذلك الحين ٢٦٧٠٠ من الاوروبيين و ٢٩٠٠ من الرقيق و ١٦٦٥٠ من عبيد الهوتنتوت الذين هم اصل سكان تلك الجهات وصار الانجليز بالتدريج يتقدمون فى تلك الاراضى لضمها اليهم حتى استولوا على بلاد الترنسفال سنة ١٨٧٧ ولكن ثار هؤلاء ونالوا استقلالهم بشورتهم وكفاحهم سنة ١٨٨١ ثم تغيرت الاحوال والحوادث وانتهت أخيراً بضم الكاب الى حكومات جنوب أفريقيا المتحدة بما فيها الترنسفال وذلك فى ٣١ مايو سنة ١٩١٠ يوم ٢٩ مايو كان يوم عيد والدكاين معطلة فاقترضنا على الفسحة بحديقة الفندق وفى الساعة الثانية بعد الظهر جاء مدير فرع كولك وركب معنا السيارة الى حديقة النباتات الموجودة بكيرستن بوش وهى تبعد ثلث ساعة من الفندق والطرق معمولة بالمسكدام والاسفلت ثم مررنا بغابات من الصنوبر واشجار أخرى قائمة منذ ثلاثمائة سنة والمناظر من

المرتفعات الى الوديان في زى جميل ورونق مشرق بديع فوصلنا الى الحديقة حيث استقبلنا مديرها وأرانا مجموعة من النباتات والزهور النادرة الوجود وهى خاصة بتلك البلاد أذكر منها شجرة الفضة وهى ذات أوراق بيضاء اذا ما انعكست أشعة الشمس عليها تظهر بلون الفضة الناصعة وبعد أن شاهدنا ما بالحديقة دعانا لتناول الشاي بمنزله القائم في وسط الحديقة فمرقنا بزوجته وبعد تناول الشاي غادرنا الحديقة في الساعة الخامسة مساء وفي طريقنا كنا نرى كثيراً من الرجال والنساء والأولاد عائدین من فسحتهم الخلوية بالغابات والجبال

اشتغل في عمل تلك الطرق المسجونون وهى تعادل أحسن الطرق في البلاد المتمدة بأوروبا

يوم ٣٠ مايو صباحا خرجنا للفسحة على الاقدام وذهبنا لمشاهدة الصور بدار الآثار وفي الساعة الثانية بعد الظهر ركبنا سيارة لعمل فسحة حول جبل تابل مونت فمررنا بجانب شاطئ البحر لغاية سي پوينت وهناك فنادق وقيلات لطيفة وهذا الطريق يشابه كثيراً الطريق الذى بين مونت كارلو ونيس بفرنسا المعروف بسكة الكورنيش، ثم من نقطة كرجل باى عبرنا الجبل بالسيارة من شاطئ الاتلانتيك لشاطئ الباسفيك الهندي وكانت المناظر جميلة جداً والطريق في غاية من الراحة ثم مررنا بقرين برج أى جبل الهواء ومررنا أمام جروت أشنور وهى مسكن رئيس وزارة جنوب أفريقيا وهذا الطريق تظله الاشجار العالية القديمة من جانبيه وهو يذكر الانسان بسكة فرساي الجميلة

بجوار باريس والحقيقة أن ضواحي مدينة الكاب لها من البهاء والجمال ما يعجب عشاق جمال الطبيعة

بلغنا المدينة قبل غروب الشمس فذهبنا لمشاهدة دار المحافظة القديمة فوجدنا بها مجموعة من الصور القديمة التي أهديت للبلدية من المسيو ميخائيلس وضمنها بعض رسومات هولندية قديمة وأقدم ما توجد بينها منذ سنة ١٥٨٥ ، ثم ذهبنا لزيارة بيت قديم منذ مائتين وخمسين عاماً به أثاث قديم من المنقولات الفرنسية والهولندية أهديت من شخص يدعى كوب مان دي فيت ويوجد بينها أشياء نفيسة جداً وأثناء دعوتنا الى الفندق مررنا بدار مجلس النواب وسراى الحاكم العام

يوم ٣١ مايو صباحاً ذهبنا لمشاهدة دار آثار التاريخ الطبيعي والحيوانات وهي رغم صغرها تحتوى على أشياء غريبة مثل أنواع الاسماك والعصافير والحشرات وكلها محنطة ثم عدنا الى الفندق نظراً لكثرة الضباب . فى الساعة الثانية بعد الظهر صفا الجو قليلاً وظهرت الشمس فشجعنا ذلك على طلب السيارة لقضاء نزهة طويلة فى شبه جزيرة الكاب فررنا من طرق جميلة الى احدى الشواطىء التى بها حمامات البحر وهى على بعد خمسة عشر ميلاً ونصف من الكاب وقد ضموا للمدينة وبها مكتبة أهديت من أمريكى يدعى كارنيجى وكان الطريق الموصل اليها مفروشا بالاسفلت وبها لوكاندات وقيلات جميلة ومن الغريب أن مياه بحر الباسفيك الهندى فى تلك النقطة أدفاً من

مياه الاتلانتىكى فى النقطة المقابلة له باثنى عشر درجة . ثم مررنا
بفيلا صغيرة ختم فيها سسل رود أيامه وانطفأ فيها سراج حياته ،
ولما كانت الجو ملائماً استمرينا فى طريقنا لغاية سيمونس باى بشبه
جزيرة الكاب التى بها خلجان كثيرة لها تاريخ تعرف به وخليج سيمونس
باى كان مستودعاً بحرياً للملاحة الهولاندية لملاءمته فى وقت الشتاء
ولما ظهرت السفن البخارية كانت تأخذ مؤونتها من هذه الميناء وكان
الصيادون الامريكان يلجأون اليها وقت العواصف بالمحيط الجنوبى
وقد تنازل مجلس نواب الكاب عن هذا الخليج هدية للبحرية الانجليزية
فى سنة ١٨٨٩

مررنا باستحكام على الشاطئ وشاهدنا سفينة حربية انجليزية
بالميناء التى يقال أن الحكومة الانجليزية صرفت مليونين وخمسمائة
الف جنيهًا لتخليصها ولعمل حوض يكفى لان يسع أكبر دردنوط
ومن ضمن هذا المبلغ انشئت اسبتالية أيضاً للبحارة الانجليز وقد عبرنا
من هذه النقطة الجبل بالسيارة فنزلنا الى شاطئ الاتلانتىكى بالجهة
الآخرى حيث خليج شانجانباى به تلغراف لاسلكى وقد تقابلنا بكثير
من السيارات فى طريقنا ثم رجعنا الى المدينة عن طريق شاطئ البحر
الذى مررنا منه بالامس

يوم أول يونيو كان الجو ملبداً بالغمام المظلم والسحب الكثيفة
فلم نخرج من الفندق
يوم ٢ يونيو تحسن الجو قليلاً ولكن الشمس لم تظهر فذهبنا

الى ادارة كوك لاعداد ما يلزم قبل السفر وبعد الظهر خرجنا ولكن
أرغمتنا رداءة الجو على الاسراع بالعودة

يوم ٣ يونيو كان لا يزال الجو على حاله بالامس وجاء مستر باوشر
مدير فرع كوك الى الفندق وقدم لنا مستر جراهام بوتارئيس دفتر خانة
الحكومة فتعرفنا به ولما له من واسع الاطلاع في التاريخ وجم الدراية
بما في تلك البلاد صحبنا ليطلعنا على آثار القلعة القديمة الهولندية فدخلنا
من بوابة كبيرة عليها حراس من الجند الى حوش كبير تحوطه مساكن
بشكل الثكنات العسكرية القديمة

بدأ بإنشاء هذه القلعة في سنة ١٦٦٦ الهولنديون ولما كان سير
العمل بطيئاً اشترك الحاكم باكس وزوجه في نقل الاحجار وفي العمل
تشجيعاً للناس في انشاء هذا الحصن الضروري لهم وكان ذلك في
سنة ١٦٧٧ وبهمته تم بناؤه في ثلاث سنوات من هذا التاريخ

يوجد في واجهة البناء داخل الحوش محل يصعد اليه بسلم من
الجانبيين كان يستعمل قديماً لا بلاغ الجمهور أوامر الحكومة الصادرة
فيدعى الناس بواسطة دق جرس كبير فتتلى عليهم الاوامر ويوجد الآن
بهذا المحل غرفة القائد العام وغرف ضباط أركان حرب الحكومة
الحالية

بعد ذلك صعدنا من سلم ضيق في الجدار الى قمة السور فكنا
نطل على الخنادق المحيطة بالسور من الخارج ويوجد حول البناء والسور
حوش آخر بسور آخر وذلك لتأمين الدفاع بوضع المدافع على السور

الداخلي اذا ما أضاءوا السور الأول وقد رأينا أيضاً غرفة من السجن القديم وغرفة أخرى تحت الارض مظلمة خصيصة لوضع المتهمين فيها وتلك كانت ضمن الطرق المستعملة للحصول على اعتراف المتهم قبل المحاكمة في العهد القديم

ذهبنا من هناك الى جروت شنور بقرب حديقة النباتات وهو اسم منزل كان لسسل رود الذي بعد أن أقام فيه مدة طويلة اهداه للحكومة اتحاد جنوب افريقيا على شرط أن يكون منزلا لسكنى رئيس كل وزارة حالية مدة اقامة الحكومة بالكاب التي هي العاصمة الثانية لجنوب أفريقيا ويوجد حول المنزل والحديقة أراض واسعة بها كثير من أنواع الحيوانات والغزلان الخاصة بـافريقيا الجنوبية وهي متروكة طليقة على حالتها الطبيعية بتلك الضيقة . وهذا المنزل أشبه بدار آثار توجد به مجموعة من أثاثات هولندية قديمة واطباق وقصاري من الصينى والبللور وسجاجيد فارسية قديمة ولقد تفقدنا الغرف التي كان يقيم بها سسل رود واصحابه المشهورون ومما يستحق الذكر منها غرفة المكتبة التي بها كتب مكتوبة بآلة التايبيراير منقولة من كتب خط يد وتقدر قيمتها بسبعة آلاف جنيه ومما يستلفت النظر بغرفة الاستحمام «الحمام» حوض حمام من حجر الجرانيت الأسود منحوت من قطعة واحدة يبلغ وزنه ثلاثة اطنان وقد أعجبنا بساعات الحائط القديمة التي لا تزال مضبوطة مع قدم عهدها ولقد غادرنا المنزل متحدثين بمحتوياته الثمينة وبهمة صاحبه الفاتقة فذهبنا الى الفندق وفي الساعة الثالثة بعد الظهر

نزلنا الى المدينة لشراء بعض كتب ومجلات لنستمين بها على قضاء الوقت في سفر البحر

يوم ٤ يونيو لم نستطع الخروج بسبب الضباب ورطوبة الجو وبعد الظهر ركبنا سيارة حيث ذهبنا الى حديقة النباتات للاستعلام عما تم بشأن ما وعدنا باعطائه لنا من النباتات التي أعجبنا وأردنا أن نستحضرها لمصرنا العزيزة ثم ذهبنا لرؤية الهيكل العظيم الذي أقيم تذكراً لسسل رود على قمة عالية يصل اليها الانسان من طريق بأشجار الصنوبر العالية من الجانبين متقابلة أطرافها من أعلا فهي بشكل سقف على امتداد الطريق فرأينا بناء هذا الهيكل منشأ على طراز معبد أكروبول القديم بمدينة أثينا يصعد اليه بسلم واسع في مسافة قليلة وفي نهايته تمثال بصورة سسل رود للنصف الاعلا من الجسم وأمامه من الجانبين تماثيل ثمانية سباع في وسطها تمثال رجل عارى الجسم على حصان وهو يقبض على ثمامه وهذا التمثال رمز ينطق عن صاحبه بأهمة والنشاط والعبقرية التي قلما تجود بها الطبيعة على كثير من بني الانسان يطل الرائي من هذا المرتفع على منظر جميل من الوادي في حلتة الخضراء كما يرى مياه المحيطين من اليمين واليسار ويقال أن سسل رود تعود أن يجلس في هذا المكان ليمتع ناظريه ويسلى قلبه بروية تلك المناظر الطبيعية الجميلة التي تشرح الصدور وتحيي النفوس

أثناء عودتنا مررنا أمام جامعين بالمدينة ويقال أن بها سبعة جوامع شادها الجاويون وقد علمنا أن الجاويين بتلك المدينة شرعوا في اقامة

تمثال لرجل يدعى الشيخ يوسف كان زعيماً في بلاده وهو من عائلة ملوكية ينسب الى قبيلة باتتان بجاوه وكان قائداً وقع في أسرا الهولانديين أثناء حربهم التي استولوا في نهايتها على بلاد جاوه ثم أتوا به أسيراً الى مدينة الكاب في سنة ١٦٩٠ حيث توفاه الله بها وله في قلوب المسلمين وعلى الخصوص الجاويين مقام رفيع واحترام عظيم حيث عرف بالتقوى والبركة وهذا التمثال سيكون بشكل مأذنة مكتوب على أحد جوانبها موجز تاريخ حياته وعلى جانب آخر صيغة شكر وتمجيد لهذا الرجل الذي هو أول مسلم أتى بالقرآن وأظهر الاسلام ببلاد الكاب وكان المقرر والمعلوم أن ولي عهد إنجلترا كان سيضع أول حجر في أساس هذا التمثال كتذكارة عن زيارته لجنوب أفريقيا هذه السنة ولكن صادف ولي العهد ما أخره عن زيارة جنوب أفريقيا هذا العام فبدأوا في اقامة التمثال

يوم ٥ يونيو صباحاً كان يوجد ضباب رغم ظهور الشمس ساطعة. توجهنا لمحل كوك فأخذنا الباسبوريات ثم عدنا الى الفندق وبعد الظهر ركبنا سيارة وذهبنا لرؤية الباخرة التي سنبحر عليها غداً الى أوروبا فوجدناها كبيرة الحجم تبلغ حمولتها تسعة عشر ألف طنًا وبها أربع مداخل فبعد أن شاهدنا الغرف الخاصة بنا وصالة الطعام وباقي الصالونات نزلنا حيث ركبنا السيارة وقضينا فسحة بجانب الرصيف الجديد الجاري انشاؤه على ساحل البحر وفي الساعة الرابعة ونصف عدنا الى الفندق

يوم ٦ يونيو صباحا كان الجو ملبدا بالغيوم فجاءنا مندوب من قبل شركة كوك بعربة منها لآخذ منقولاتنا الى الباخرة فنأدرنا الفندق فى الساعة العاشرة صباحا ليسهل لنا الصعود الى الباخرة ولترتب أشياءنا قبل زحام الناس ثم تناولنا غذاءنا بالباخرة وبعد الظهر ازدحم سطح الباخرة بالمسافرين الذين يبلغ عددهم خمسمائة والمودعين أيضا الذين يبلغون مثل هذا العدد وفى الساعة الرابعة مساء نزل من الباخرة جمهور المودعين وتحركت الباخرة للسفر ولكن حجمها وعدم اتساع الميناء جاء رفاصان ليخرجها من جانب الرصيف الى بوغاز الميناء وكان رصيف الميناء مزدحما بالمودعين يلوحون بمناديلهم وبأيديهم وكل منهم يدعو لصاحبه أو قريبه بسفر سعيد ولما لم يكن بين المودعين من جاء لوداعنا توكلنا على الله وقلنا نعم المولى ونعم النصير

عند خروجنا من الميناء صادفنا هواء شديد وبجر هائج فأمضينا تلك الليلة بتعب وقلق اذ كانت هذه الباخرة العظيمة تهتز وتعلو وتنخفض بقوة الامواج وعصف الهواء

يوم ٧ يونيو كان الطقس باردا والشمس ساطعة وقد هدا البحر وسكن الهواء ومضى اليوم على ذلك دون أن نرى شيئا من البر أو عالما فى البحر

يوم ٨ يونيو مضى اليوم بنيام كفيف وقليل من المطر وقد تقابلنا بباخرة تجارية

يوم ٩ يونيو كان الطقس معتدلا ولكن الباخرة كانت تمايل بحركة

محسوسة وبعد الظهر تقابلنا بسفينة أخرى

يوم ١٩ يونيو كان الجو لطيفاً والطقس دافئاً والسفينة لا تزال في حركة غير هادئة وفي يوم ١١ يونيو كنا على مقربة من منطقة خط الاستواء فابتدأنا نشعر بحرارة الطقس وارتدى الناس ملابساً بيضاء صيفية وفي يوم ١٢ يونيو ازدادت حرارة الطقس وبعد الظهر كنا على مسافة أربع درجات من جنوب خط الاستواء وفي يوم ١٣ كان الحر على حاله وفي الساعة الحادية عشر وربع مررنا بخط الاستواء وتقابلنا بياخرتين في هذا اليوم وفي المساء كانت على الباخرة حفلة رقص شائقة اشترك فيها كثير من الرجال والسيدات وكان البعض بملابس غريبة قلد بعضهم فيها عرب بغداد في زيهم والبعض في زي المغاربة وبعضهم ظهر في أزياء متذكّرة وكذلك السيدات وكان لجوقة الموسيقى فضل في احياء مثل هذه الليالي وتسلية المسافرين ثم وزعت الجوائز على من ظهر في زي بديع أو غريب من الرجال والسيدات وكان الطقس مساعداً للسيدات في ارتداء أخف الملابس وأليقها لمثل تلك الحفلات وذهبت الى غرفة نومي في الساعة العاشرة مساءً

يوم ١٤ يونيو كان جو الصباح رطباً وغشينا قليل من المطر عكس ما كان يعتقده قبطان الباخرة

يوم ١٥ يونيو كان الجو رطباً والبحر هادئاً ورأينا نوعاً من السمك الكبير يسمى سمك الشيش يسابق الباخرة في سيرها

يوم ١٦ كان الجو على حالة ولكن لحيء الهواء مقابل لنا تحرك

البحر قليلا وقد مررنا حوالى الساعة الرابعة صباحا بكاب قيرد وفى هذا اليوم تقابلنا يباخرتين وفى يوم ١٧ يونيو كان الجو رطباً والبحر فى حركة محسوسة وفى الساعة الثامنة صباحاً رأينا جزيرة جوميرا وجبل تبنى ريف تبع جزائر كانارى ومررنا بين الجزيرتين فى الساعة الحادية عشر صباحاً وفى يوم ١٩ يونيو الساعة السادسة صباحاً التقت الباخرة مرساها فى ميناء فونشال عاصمة جزيرة ماديرا

تلك المدينة بل الجزيرة كلها أيضاً لها منظر جميل من سطح الباخرة فهى عبارة عن جنائن وحدائق تظهر من بينها المساكن والابنية وفى الساعة الثامنة صباحاً جاء مدير الفندق على موتوربوت الى الباخرة فركبنا معه حيث ذهبنا الى الفندق

اكتب عن جزيرة ماديرا وصفا عاما متجنباً ذكر كل يوم بيوم . كانت هذه الجزيرة تابعة لعرب الغرب قديماً ثم انتقلت الى يد البرتغاليين وظلت تابعة لهم الى الآن وبها مائة ثمانية وستين الفامن السكان وعاصمتها مدينة فونشال وهى بيطن الجبل على ساحل البحر وتمتد قليلا الى جزء من سطح الجبل الذى يحيط بها من الخلف بالحدائق والزهور اما الطرق بالمدينة فرصوة بحجارة صغيرة وتوجد عربات خصيصة يجرها البقر والبغال وليس لها عجل وانما تنزلق على قطعتين مستطيلتين من الخشب مصفحتين بالحديد ويوجد أيضاً بالطرق الجبلية حاملون يحمل كل اثنين منهما جهازا من القماش المتين يركب عليه شخص واحد ويحملان ذلك بواسطة خشبة طويلة اسطوانية ترفع من طرفيها على كتفى الرجلين

وقد انشأوا بالجزيرة طرقاً تصلح للسيارات التي يكثر وجودها شيئاً فشيئاً .

أهالى تلك الجزيرة منهم سبعة في المائة لا يقرأون ولا يكتبون والصناعة المشهورة بتلك الجزيرة هي صناعة التطريز على الاقمشة وصناعة النسيج والاشتغال بزراعة الفاكهة ومما يجعل المناظر الطبيعية جميلة جداً وجود الوديان الكبيرة التي تقسم الاراضى الى تلول عديدة وترسم مجارياً عديدة من المياه وأيضاً الشلالات الصغيرة والارض كلها مكسوة بالحضرة فكل منزل له حديقة سيان في ذلك غنى وفقير ويمتاز بين حدائق الجزيرة ما هو منها لبعض تجار الانجليز الذين هم أغنياء الجزيرة وقد ذهبنا لمشاهدة حديقتين لرئيس إحدى شركات البواخر فأعجبنا نظامها وما حوت من الزهور المختلفة الانواع والاشجار الهرمة وكانت بوجه عام عظيمة الاتساع جميلة الموقع تستحق الإعجاب

الجو بتلك الجزيرة تقي جداً لأنها محاطة بالبحر ومكسوة بالحضرة والاشجار فهواؤها خالص من التراب منعمش ولا يختلف فيها الطقس كثيراً بين البرودة والحرارة في الليل والنهار وكذلك في الشتاء لا تبلغ درجة الحرارة الى الصفر ولهذا ترى اوراق الاشجار نضرة نظيفة على الدوام ومن الاشياء التي تستحق الذكر بالعاصمة كنيسة قديمة بها سقف من الخشب من صناعة العرب وبها كثير من القناديل القديمة وشمعدانات فضية وهياكل من الخشب المذهب متقونة الصنع قديمة الاثر كم تصلح تلك الجزيرة لمن أراد الراحة والسكون لانها هادئة

وتكاليف الحياة بها ان لم تكن زهيدة فليست باهظة وبها كثير من
 الفاكة وأهلها فقراء متدينون معروفون بسذاجة الطبع والبساطة
 والهدوء ويكثر نزوح السائحين اليها ما بين شهر سبتمبر لغاية أول شهر
 ابريل ومن ضمن التسلية الموجودة بالجزيرة للسواح هو كازينو للعب
 القمار ومرسح تياترو فقط ويسكن بتلك الجزيرة (الآن بجانب الفندق
 أمبراطورة النمسا الأخيرة في منزل متوسط الحال بين حديقة واسعة
 ضمن أملاك صاحب الفندق وهي تعيش عيشة بعيدة عن البذخ والترف
 والعظمة وقد عرفت بين أهل المدينة بالتعبد حيث تتردد الى الكنيسة
 وكذلك بالرافة وعمل الخير مع ما هي عليه من قصر ذات اليد وعسر
 الحال بعد سقوط العائلة الحاكمة النمساوية عقب الحرب الكبرى اذ
 علمنا أن هذا المنزل قدمه لها صاحب الفندق بلا مقابل لثرائه ولحبته
 بالعائلة الملوكية البرتغالية التي زال حكمها من بلاد البرتغال وكانت لها
 صلة بالعائلة الامبراطورية النمساوية - ثم غادرنا جزيرة ماديراه على
 باخرة آتية من أمريكا الجنوبية الى ليسبون عاصمة البورتغال
 وكذلك انتهت رحلتنا بعد أن مكثنا بماديرا خمسة أيام جعلناها ختاماً
 لرحلتنا في جنوب أفريقيا وكانت ختاماً حسناً بحمد الله عليه حمداً جزيلاً
 ونرجو أن يوفقنا فيما اعزمناه من اتمام رحلتنا في باقي أقطار الدنيا
 واكرر له الحمد في البدء والختام

بمكتبة
Bibliotheca Alexandrina



0206215